

المُحَقِّقُ آيَةُ اللَّهِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ السَّنْدُ

# الْأَمَامُ عَلِيٌّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ

شَجَاعَةٌ، قِيَادَةٌ وَحِكْمَةٌ سِيَاسِيَّةٌ

بِقَلَمِ

إِبْرَاهِيمَ حُسَيْنِ الْبَغْدَادِيِّ



الإمام

الحسن بن علي عليه السلام

شجاعة قيادة وحكمة سياسة



بَحْمِيَّةُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ  
الطبعة الأولى  
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م



للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان

---

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تليفاكس: ٠١/٢٧١٩٨٨

---

<http://www.Dar-Alamira.com>  
e-mail: zakariachahbour@hotmail.com

الإمام

الحسين بن علي عليه السلام

شجاعة قيادة وحكمة سياسة

تقريراً لأبحاث الأستاذ

آية الله المحقق الشيخ محمد السند

بقلم

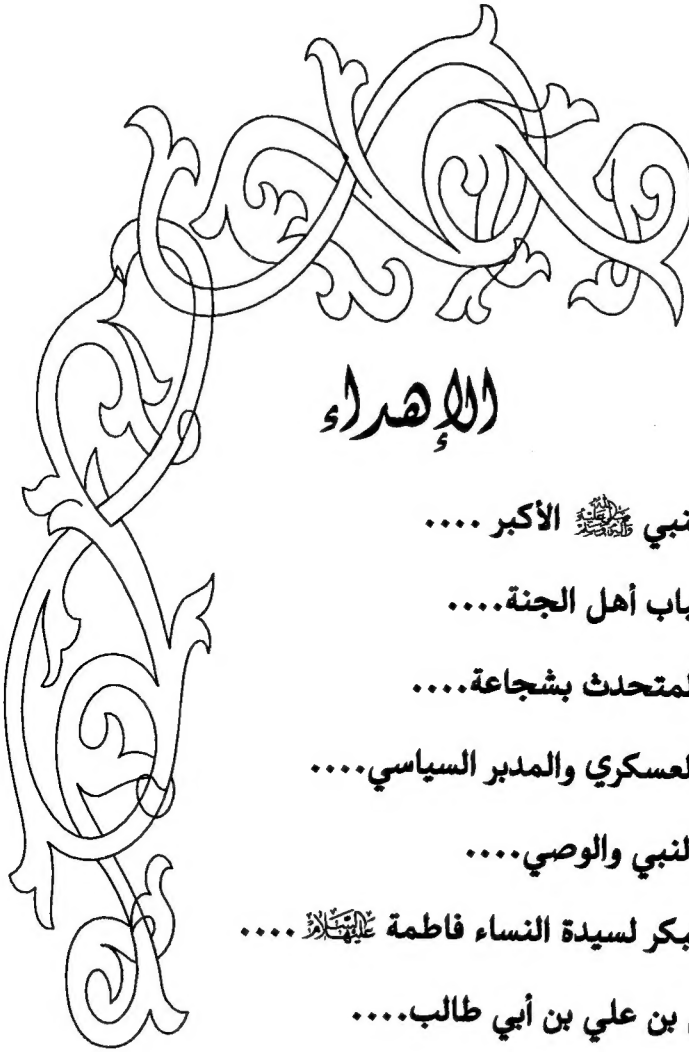
إبراهيم حسين البغدادي

١٤٣٣ هـ

الأميرة

للطباعة والنشر والتوزيع





## الإهداء

- إلى سبط النبي ﷺ الأكبر ....
- إلى سيد شباب أهل الجنة ....
- إلى الفتى المتحدث بشجاعة ....
- إلى القائد العسكري والمدير السياسي ....
- إلى وريث النبي والوصي ....
- إلى الابن البكر لسيدة النساء فاطمة ؑ ....
- إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ....
- أقدم هذا المجهود راجياً منك يا سيدي القبول.

عبدك

إبراهيم



## المقدمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .  
وبعد . . .

إن هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة بحوث ألفها سماحة الأستاذ آية الله المحقق الشيخ محمد السند «دام ظلّه» في جوار المرقد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام <sup>(١)</sup>، وقد ألفت على مجموعة من فضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد السبط الأكبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام <sup>(٢)</sup>، وقد بيّن سماحته بعض الحقائق الغامضة حول حياة الإمام الحسن عليه السلام ومعاهده مع معاوية بشكل تحليلي رائع وعن دراسة دقيقة كما سيجدها القارئ اللبيب، وقد أوضح حقيقة الانحراف عن آل محمد صلوات الله عليهم وبالذات عن القائد الشجاع والمدير السياسي العظيم الإمام الحسن عليه السلام لا كما يتصور البعض من أنه سلم الخلافة لمعاوية - والعياذ بالله - بل إنه على قصر عهده في خلافته فقد كان عليه السلام من أطول الخلفاء باعاً في الإدارة

(١) مسجد عمران بن شاهين، داخل الصحن الشريف، وهو مكان درسه الآن.

(٢) ٦، ١٠ صفر ١٤٣٢.

السياسية، وهو الرجل القائد الذي بلغ من دقته في تصريف الأمور، وسموّه في علاج المشكلات، أنه استغل معاوية أعنف ما يكون في موقفه منه حذراً وانتبهاً واستعداداً للجبائل والغوائل.

وليس يضر الحسن بن علي عليه السلام أن تظلمه الأذهان البليدة ثم ينصفه التمييز، وإن لهذا الإمام من مواقفه ومن مواهبه ومن عمقه ومن أهدافه ما يضعه بالمكان الأسنى من صفوة العظماء الخالدين، وفاتهم أن ينظروا إليه كالمع سياسي يدرس نفسيات خصومه ونوازع مجتمعه وعوامل زمنه، فيضع الخطط ويقرر النتائج ويحفظ بخططه مستقبل أمة بكاملها، ويحفر - بنتائج - قبور خصومه قبراً قبراً، ثم يموت ولا يرضى أن يهرق في أمره محجمة دم<sup>(١)</sup>.

كل هذا سوف تجده - عزيزي القارئ - في طيات هذا الكتاب وأخيراً نسأل من العلي العظيم أن يحفظ لنا شيخنا الأستاذ وأن لا يحرمننا من بحوثه القيمة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

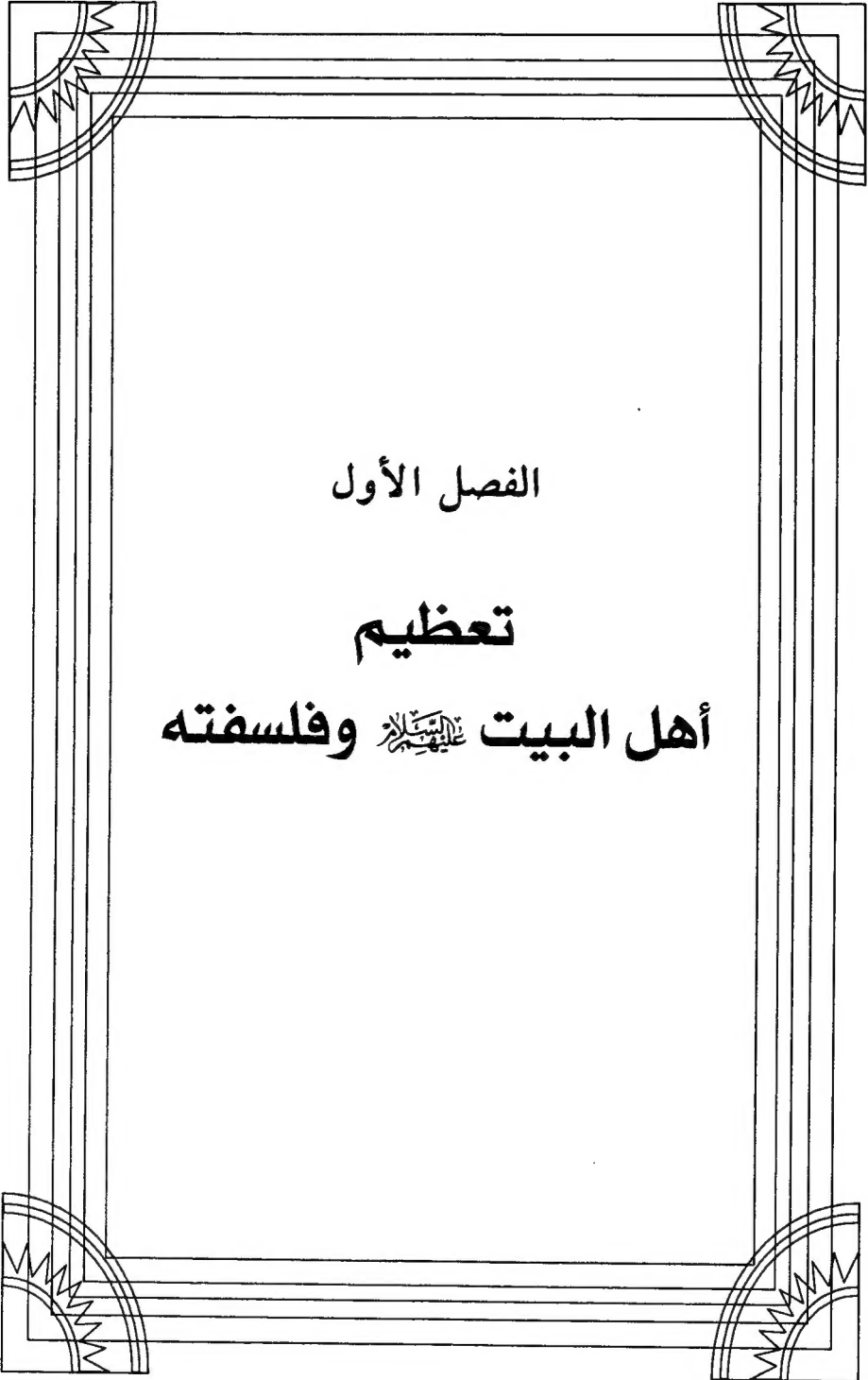
يوم الغدير / ١٤٣٢

إبراهيم حسين البغدادي

النجف الأشرف







الفصل الأول

تعظيم

أهل البيت عليهم السلام وفلسفته



## تعظيم أهل البيت عليه السلام :

إن تعظيم النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام تثار حوله تساؤلات عديدة لاسيما من الفرقة المعروفة، فإن بعض شذاذ الأمة، وهم السلفية الوهابية، وربما من بعض الأوساط الداخلية، تحت شعار أن التعظيم لمفردات بشرية أياً كان هذا التعظيم، وفي أي صورة، هو نوع من الحالة الصنمية! أو المغالاة! ومن هذا القبيل.

وخيرُ حديث القرآن الكريم الذي يستمد منه المسلم والمؤمن مشروعية أعماله، فبنظرة سريعة للقرآن الكريم، هل أن في القرآن الكريم مشروعية لتعظيم بني البشر أم لا؟ إن الكثير من الآيات تشير بصوت خفّاق إلى مشروعية هذا العمل، بل بلزومه وضرورته، وأنه على حد أن كل أعمال الإنسان بما فيها عقائده مرتبهة بهذا العمل، فإن الآيات الكريمة تبالغ في خطورته إلى هذا الحد، ولا تجعله مشروعاً فقط، بل تبالغ في أهميته إلى أن تجعل نجاة الإنسان ومصير عطائه مرتبهة بهذا الفعل، وبعد ذلك سنتطرق إلى بُعد وفلسفة هذا الفعل والإلزام به في القرآن الكريم، وهو بدوره، أي هذا المقام الثاني - ذكر فلسفة هذا الفعل أو الحكم - دليل عقلي على هذا الفعل.



## تعظيم أولياء الله:

إن الشبهة التي تُثار هي أن التعظيم لا يسوغ لغير الله تعالى، فإن أي مظهر من مظاهر التعظيم لا يسوغ لغير الله تعالى، وأن أي تعظيم وتبجيل وإكبار، هو نوع من التأليه للطرف الآخر من بني البشر. وهذا طبعاً قد تصدى للرد عليه الكثير من محققي الإمامية والمذاهب الإسلامية لأن التعظيم والتبجيل والإكبار يعتمد على درجة الكبر والعظمة التي للطرف الآخر فتؤديها أنت، الإكبار والتعظيم للطرف الآخر يحدد الدرجة التي توليها أنت للطرف الآخر، وبإدنى نبتدئ بأمثلة في القرآن الكريم وموارد في غير النبي ﷺ وعترته، فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان تجاه والديه: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ نوع من التذلل للوالدين، هذا ما أمر به الله ﷻ، وواضح من التذلل أن فيه نوع من تعظيم إرضاء للوالدين، ولا شك أن هذا ليس تأليهاً للوالدين، بل على العكس هو طاعة لرب العالمين وهذا ما أمر به القرآن الكريم، إلا أن القرآن الكريم يبين أن داعي هذا التذلل هو الرحمة للوالدين وليس التأليه، ودرجة التعظيم والإكبار التي يوليها الإنسان للطرف الآخر هي في الواقع مدللة على المعنى الذي يدل عليه الإكبار والتعظيم، وليس كل تعظيم مصداقاً للتأليه أو الصنمية، ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ أي كن ذليلاً وكلما ازدددت ذلاً أمام والديك،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

اندرج تحت ما يأمر به القرآن، بلغ هذا الذل ما بلغ، شريطة أن يكون منطلقاً من الرحمة - مِنَ الرَّحْمَةِ لِلْوَالِدِينَ، العطف، صلة الرحم.

ونحن الإمامية نجعل المخاطب لنا من يفقه المعاني، أما من لا يفقه المعاني فحسابه مع ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، فهذا التذلل والتعظيم ليس في أصل ماهيته وذاته الصنمية، وإلا لكان هذا التعظيم صنمية للوالدين؟! كلا، لأن الأمر هنا يوافق الحسن العقلي ويوافق النذب الشرعي، والأمر الشرعي يتلاءم مع ذلك، ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

كذلك نشاهد القرآن الكريم يسطر لنا أمثلة عديدة، من قبيل سجود الملائكة دون إبليس لآدم، ويشير القرآن الكريم في سبع سور قرآنية إلى هذه الواقعة، التي هي ملحمة في المعرفة الكونية، المعرفة البشرية، المعرفة الدينية، هذا الإسجاد أياً كان معناه، أنه سجود لله وجعل آدم قبله، أو أنه سجود لآدم بأمر الله، أو أنه خضوع وتذلل لآدم، أو أنه انقياد، بأي معنى من المعاني التي ذكرها المفسرون من الفريقين فإن فيه تعظيم لآدم، وحاشا للباري العزيز عز اسمه أن يشرك أحداً في كبريائه، فكيف يأمر بهذا التعظيم؟. والأعظم من ذلك أن الباري تعالى يجعل مصير إبليس وعقيدته في امثال التعظيم! فقد كان إبليس يقر بوجود الله ولا زال يقر بذلك، ويؤمن باليوم الآخر ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، بل يؤمن حتى بتفضيل آدم ونبوته، والكثير من الأمور من أصول الاعتقادات يؤمن بها، لكنه قد عصى في هذا الأمر، وهو تولي ولي الله بنحو التعظيم، حتى أنه قد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أمر الله إبليس

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٩.

بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدك عباداً ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله ﷻ: إني أحب أن أطاع من حيث أريد... (١).

مما يدل على أن منطلق إبليس من عدم تعظيم آدم، ليس عقيدة توحيد، ولكنها عقيدة شركية، وهي تطابق ما ينادي بها «الوهابية»، وإلا فهو - إبليس - رائد على هذا المقياس ويجب أن يجعلوه رائداً من رواد هذا المذهب الجديد؛ لأن إبليس أراد أن يصحح الله ﷻ: إن التعظيم لغيرك شرك، والتوحيد أن لا يعظم غير الله! حسب صورة المنطق التي يدعو إليه هؤلاء، فإبليس ليس عضواً عادياً بل يجب أن يكون رائداً، لأنه نظر إلى هذا المطلب بشكل جيد جداً، فأبى أن يعظم غير الله، كي لا تكون صنمية، بينما الباري تعالى يقول بأن مجمل (الإثارة) عند إبليس ليس العقيدة التوحيدية، بل الناحية الشركية والناحية الصنمية لأنانية ذاته، بل هو استكبار نفس النفس، وإلا فتدلل الله ﷻ، يقتضي أن يعظم من عظمه الله ﷻ.

هذا موطن آخر من المواطن التي ينادي القرآن بها بأفصح قول بأن أولياء الله، خلفاء الله، الحجج العظام يُعظمون، وهذا التعظيم ليس تأليهاً، بل هو عين التوحيد، عين نفي صنمية أنانية الذات، عين نفي فرعونية الذات، دكدكة فرعونية واستكبار الذات، بأن يعظم الإنسان أولياء الله. وذلك الذي لا يعظم، ذكره الله عبرة للعالمين، للجن والإنس والملائكة، وللأصناف العديدة من المخلوقات، ذكر ما وقع من إبليس، وأن الذي يستكبر عن تعظيم ولي من أولياء الله الذين لهم منصة خاصة في الحجية، ليست دواعيه في الواقع التوحيد أو الذوبان في توحيد الله، بل

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ٤٦؛ بحار الأنوار ج ٢: ٢٦٢.

على العكس، هو واقع في جب الكفر، وجب الأنانية والاستكبار، وأما الذي يتذلل لأولياء الله ذوي المقامات الخاصة، فذلك عين التوحيد وعين التواضع وعين الذوبان في ذات الله، وسيأتي ويمر بنا فلسفة ذلك.

ومن المواطن الأخرى التي يذكرها لنا القرآن الكريم في تعظيم حجج الله وأصفياه ما تطالعنا به سورة الحجرات، حيث يشير إليها الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية في دعائه في الصلاة على النبي ﷺ: «فرضت علينا تعزيزه وتوقيره وأمرتنا أن لا ترفع الأصوات على صوته، وأن تكون كلها مخفوضة دون هيئته، فلا يجهر عليه عند مناجاته ونلقاه بأخمدنا عند محاورته ونكف... الألسن لدى مسألته إعظاماً منك لحرمة نبوته وإجلالاً لقدر رسالته وتمكيناً في اثناء الصدور لمحبه وتوكيداً بين حواشي القلوب لمدته»<sup>(١)</sup>.

فيبين ما في سورة الحجرات كيف أن هناك هالة من التعظيم رسمها القرآن الكريم للنبي ﷺ، ويشرحها زين العابدين عليه السلام في هذا الدعاء من الصحيفة السجادية، في ذكر الصلوات المبسوطة على النبي ﷺ.

وفي بعض الروايات في ذيل هذه الآيات، لا في التفاسير إنما رواية ينقلها مالك بن أنس صاحب الموطأ عن جعفر بن محمد أنه كان إذا قال: قال رسول الله ﷺ اخضر مرة واصفر أخرى حتى ينكره من كان يعرفه<sup>(٢)</sup>. فقد كان ﷺ يذكر النبي ﷺ بتبجيل وتعظيم خاص، وفي رواياتنا ورد أن الصادق عليه السلام كانت تأخذه حالة القشعريرة والخشية إذا ذكر النبي ﷺ، وكان يكرر ذكر النبي ﷺ في بعض المجالس حتى

(١) الصحيفة السجادية، طبعة الأبطحي: ٣٤.

(٢) علل الشرائع للصدوق ج ١: ٢٣٥؛ الخصال: ١٦٧؛ البحار: ج ٤٧: ١٦.



ينحني، تعظيماً لاسم النبي ﷺ. فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليساً لأبي عبدالله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً ثم إنني جئت إليه فقال لي: لَمْ أرك منذ أيام يا أبا هارون، فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله فيه فما سميته؟ قلت: سميته مُحَمَّدًا قال: فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول: مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ حتى كاد يلصق خده بالأرض ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداء لرسول الله ﷺ لا تسبه ولا تضربه ولا تُسء إليه، واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسمُ محمد، إلا وهي تقدس كل يوم، ثم قال لي: عقلت عنه؟ قال: فأمسكت قال: وقد رأيته حيث أمسكت ظن أنني لم أفعل فقال: يا مصادف اذُنْ مني فوالله ما علمت ما قال له إلا أنني ظننت أنه قد أمر لي بشيء فذهبتُ لأقوم فقال لي: كما أنت يا أبا هارون فجاءني مصادف بثلاثة دنائير، فوضعها في يدي فقال: يا أبا هارون اذهب فاشتر كبشين واستسمنَّهُما واذبحهما وكل واطعم<sup>(١)</sup>.

فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه الآية تنفي مطلقاً أن يبادر أحد من المسلمين السابق على النبي ﷺ في حفظ أو في تصرف أو إنفاذ، ولهذا نرى الآية الكريمة تقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، والمتقي لا يتقدم بين يدي الله ورسوله. في حين يروون في الثاني أنه في مواطن عديدة نازع النبي في أمور، وأدلى برأي أو بحكم أو بموقف قبال النبي أو أسبق على النبي ﷺ، وبحسب هذه الآية فإن ما فعله ليس بفضيلة وإنما هو عصيان ومعصية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني لم يكن هناك تقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

(١) الكافي ج ٦: ٣٩؛ الوسائل أبواب أحكام الأولاد باب ٢٤ / ح ٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١.

وَرَسُولُهُ ﴿١﴾ أي يجب في مقتضى طاعتكم لله وللرسول: التبعية وتامام التبعية، الانقياد وكل الانقياد، وأن لا يصدر منكم في أي مورد من الموارد نوع من السبق على النبي ﷺ، وهذا طبعاً نوع من إعطاء المحورية والمركزية للنبي ﷺ، في كل الأمور وعلى كل الأصعدة، ومن دون تقييد في هذه الآية، وهذا مما يدل على عصمة النبي ﷺ في كل الحقول والموارد وليس فقط في مورد التبليغ، بل هي أخص بالتدبير أكثر، ومنصرفه إلى موارد التدبير أكثر من انصرافها إلى موارد التبليغ، ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ إقدام على الخطوات التدبيرية، وهذا يدل على عصمة النبي ﷺ في كل هذه الموارد.

بعد ذلك السورة تتابع ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١)، والآية باتفاق المفسرين تقريباً نزلت في الشيخين (٢)، حيث إنهما رفعاً صوتهما فوق صوت النبي ﷺ، والآية تقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يعني أن إخفاض الصوت عند الحديث مع النبي ﷺ هو من الأدب القرآني الملزم به، وليس أدباً ندبياً [مستحباً] أو سنة أخلاقية، بل هو أمر ملزم به؛ لأن الآية تحذر وتوعد وتهدد بإحباط الأعمال، وهم يروون أنهما كادا أن يهلكا، لا بد أن حبط الأعمال بما فيها العقيدة.

لذلك يروى عن العلامة بحر العلوم رحمته الله عندما تشرف وأذن له صاحب العصر «عجل الله فرجه الشريف» بالقرب منه، فكان يتناقل تأدباً،

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) صحيح البخاري ج ٦: ٤٦؛ تفسير القرطبي ج ١٦: ٣٠٣؛ الدر المنثور ج ٤: ٨٤؛ تاريخ ابن عسكار ج ٩: ١٩٢؛ مسند أحمد ج ٤: ٦؛ تاريخ الطبري ج ٤: ٤٤.

ويعلل ذلك بخوفه أن في ترك الأدب كفرًا. ومن هنا يمكننا أن نعتبر الأدب وإن كان خارج منطقة العقيدة أو خارج منطقة الأعمال الإلزامية المكلف بها المسلم والمؤمن إلا أن بعض موارد الأدب ليس كذلك بل هو مرتبط بالعقيدة ومرتبطة بالأعمال. ومن ثم فقد أفتى الفقهاء في المذاهب الإسلامية كلهم بأن الشاتم للنبي ﷺ يقتل، وكذا الذي ليس بدرجة الشاتم بل كان يستهزئ بالنبي ﷺ بالدرجات التي يستصغر بها مقام النبي ﷺ يقتل، وأنه يُحكم عليه بالكفر، بل عند علماء الإمامية الحال كذلك في الأنبياء والرسل والأئمة المعصومين عليهم السلام وكذلك الصديقة فاطمة «سلام الله عليها».

فإذن هذا التعظيم والإجلال والتفخيم جذره قرآني، وإن عدم مراعاة الأدب أو التعظيم أو الإكبار مع حجج الله وأصفياه يوجب الخروج عن ربة الإيمان والهلاك الآخروي. وتشير الآية: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، إلى إحباط عموم الأعمال بما فيها العقائد، نتيجة تصرف بسوء الأدب في مقام التعامل مع النبي ﷺ برفع الصوت، حتى لو لم يكن في ذلك إصرار بشدة وتعمد، بل قلة في المبالاة والتهاون.

فغض الصوت أو الجهر بالصوت مع النبي ﷺ، هو مجرد فعل وخطوة محادثة مع النبي ﷺ، إن لم تراع فيها الأدب الخاص بالنبي ﷺ، فيسبب إحباطاً للأعمال. كما في الرواية لديهم «كاد الشيخان أن يهلكا»، هلاك آخروي، فلا تسلم العقيدة، وهم يروون في مواضع أخرى أن الثاني قد جرّ ثوب النبي ﷺ، وإذا كان رفع الصوت يوجب إحباط الأعمال، فكيف إذا جرّ ثوب النبي ﷺ وجذبه!

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

وفي موقف ثالث كما يروون أن الثاني فعل ما فعل، في صلح الحديبية .

فهذه الهالة من التفخيم والتعظيم التي يشير إليها الإمام السجاد عليه السلام في معنى الآية بحسب ظاهرها بين، يوجبها وبينها القرآن للنبي، للصوت درجة وللمحادثة كيفية، يجب أن تكون بإكبار وتعظيم وتبجيل، مع أن الضرورة قائمة على توحده تعالى بالكبرياء وهو رداء لا ينازعه فيه أحد من خلقه، مع ذلك الباري عليه السلام يضيف جلالاً وعظمة خاصة لنبيه عليه السلام، ليس كبرياء الإلهية، وإنما هو إكبار الرسالة وعظمة الرسالة يضيفها على النبي عليه السلام، ما سر كل ذلك؟ وأي درجة من الأدب في التعامل حتى في الفعل الآن المتصرم الخفيف، فضلاً عن تعامل السلوك ونمط العلاقة الدائمة مع النبي عليه السلام.

هذه الهالة التي يرسمها القرآن الكريم للنبي عليه السلام، لم يحظ بها الملوك أو السلاطين والجبابرة، ولم تقرر في التحدث معهم، مع إن النبي عليه السلام يقول: لا تقولوا لي ولا تصنعوا لي مثل ما تصنع الأمم في ملوكهم، مع ذلك يأمر القرآن بتعظيم وتبجيل النبي عليه السلام، وإنما ذلك النهي من النبي عليه السلام لكي لا يعبد المسلمون نبهم كما عبد المسيحيون أو النصارى نبهم، دفعاً لتوهم ضعف العقول والنفوس أن هذا التعظيم والتفخيم المأمور به في القرآن للنبي عليه السلام هو تأليه له ومع الخوف من هذا المحذور فإن القرآن الكريم يأمر بمثل هذه الهالة من التعظيم للنبي عليه السلام كما في ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ لَوْادًّا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

وفي ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِيَهُ وَنُدْخِلُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(١)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّبُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾<sup>(٢)</sup> والتعزير والتوقير في سياق واحد مع التعظيم.

وفي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ نَجِيرٌ لَكُمْ وَأَطَهَرَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>. فغض الصوت، ومراعاة والتزام الأدب كله إكبار وتعظيم للنبي ﷺ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. فهذا التعظيم والتبجيل للنبي ﷺ، هو امتحان للقلب، يعني قلب متقي وليس عملاً متقياً.

ولابد أن يلتفت إلى أن هناك فرقاً بين التقوى في العمل والتقوى في القلب، فالتقوى في القلب أشد صعوبة، وأحلك عقبة من التقوى في العمل؛ لأن الخواطر والجذبات والميول والنزعات النفسية ضبطها أصعب جداً. فالظاهر يعتمد على صورة العمل أنه ترك الحرام والإتيان بالواجب وما شابه ذلك، صورة الأعمال الجارحية، أما التقوى في القلب فهي أعظم درجة، ولا يقاس بتقوى الأعمال الجارحية، وهنا القرآن الكريم يبين الارتباط بين الأدب والتعظيم والإكبار للنبي ﷺ، ومرتبة عالية من التقوى، هو تقوى القلوب. فإذا التعظيم للنبي ﷺ جذره قرآني.

وكذلك بين القرآن الكريم هذا التعظيم في مواطن أخرى في أهل

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٣.

البيت عليهم السلام كما في سورة النور حيث قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(١)</sup>، ففي الآية خمسة موارد تشبيهه، لا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنين، بل خمسة موارد تشبيهه، وإشارة إلى هذا العدد بأنه أصيل، ولم يجعل الخمسة في سورة المباهلة مع أن موردها هم الخمسة من أهل الكساء النبوي، وكما في آية التطهير نزولاً وبتطبيق من النبي عليه السلام، ونزول الآية في أصحاب الكساء وعددهم خمسة، هنا في سورة النور تشبيه خماسي ﴿وَالْأَرْضُ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ<sup>(٢)</sup>، أي خمسة أنوار مشكاة وزجاجة ومصباح وكوكب دري وشجرة، وكل تشبيه له وجه شبه، ثم بعد ذلك ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني أن هناك أنواراً أخرى تتعاقب غير الخمسة الأصلية. بعد ذلك تتابع الآيات هذا النور في أصوله الخمسة وتعاقب الأنوار وأنها خلقة نورية لبعض المخلوقات بصفة بدنية، وبصفة روحية، والخلقة النورية، هذه النشأة من الخلقة غير خلقة الروح، وغير خلقة البدن هذه الأنوار في ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ بعد ذلك تتابع الآيات ﴿رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَحْرٌ وَلَا نَعْرٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>، فلفظة رجال هنا تابعة في التركيب الأدبي النحوي للجمال أو معطوفة على ماذا؟ المبتدأ الأول ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾، وأخبار بعده في سرد الآيات، إلى أن تصل الآية إلى

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

هذا الخبر ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ هذه محطة من المحطات، بعد ذلك يأتي الخبر الأخير ﴿رِجَالٌ﴾ يعني هذه البيوت كما قال الإمام الباقر عليه السلام لقتادة: ويحك يا قتادة إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه. فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ يَحَرَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) فأنت ثم ونحن أولئك. فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين... (١).

فهذه البيوت بنص القرآن الكريم ﴿رِجَالٌ﴾، ولا يعني بالبيوت بيوت الطين، إذ في هذه الأمة خمسة أصول من البشر، ثم تتعاقب منهم أنوار أخرى، هذه الأنوار موجودة في أنفس بشرية ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ يَحَرَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ (٢).

ومن الطبيعي أن هذه الآية فيها شواهد عديدة، تشابه العديد من آية التطهير وآيات أخرى، قد أشار إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، لا بنحو التأويل، بل أشاروا إلى نفس مواطن القرائن الدلالية في نفس منصة الظاهر، وللأسف أن تقرأ الروايات بشكل سريع ومجمل، وتحسب أن

(١) الدر المنثور للسيوطي/ إن هذه البيوت بيت علي وفاطمة عليهما السلام في ذيل الآية؛ الكافي ج ٦: ٢٥٦.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.



هذا تعبد تأويلي من أهل البيت عليهم السلام ، ولا شك أن قولهم عليهم السلام حجة ، لكن الكلام في أن أكثر مفاد الروايات وإن لم يكن جلها ، إشارة إلى مواطن دلالة في نفس منصة الظاهر . فهنا القرآن الكريم أيضاً يعظم ويَجْلُ هؤلاء الرجال ، هؤلاء المطهرين ، ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وآله أحد الخمسة وبالتالي عثرته التي يجليها القرآن الكريم في مواطن أخرى ، كآية التطهير وآية المباهلة وغيرهما ويخاطبنا بأن في هذه الأمة ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ يُحَرَّةً وَلَا يُبَعِّعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١) . رجال يجب أن يعظموا ، يمجّدوا ، يجلّلوا ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ (٢) . مرفوعة ، معظمة ، مبدولة ، وهذا نص آخر من القرآن ، لا يقتصر على النبي صلى الله عليه وآله ، إذ يُرينا هذه الوظيفة والإلزام تجاه عترة النبي صلى الله عليه وآله ، وهي مواطن عديدة لسنا الآن في صدد استقصائها ، إنما مجرد استعراض نبذة موجودة في القرآن الكريم ، نوع من الهالة التعظيمية والتعظيم والإكبار والإجلال للنبي وأهل بيته . وما سر هذا؟! .



(١) سورة النور، الآية: ٣٧ .

(٢) سورة النور، الآية: ٣٦ .

## فلسفة تعظيم أولياء الله:

المقام الثاني: ما سر هذا التعظيم والأدب؟ الذي ليس تأليهاً أو ألوهية، ويصب في التوحيد والتواضع لله والانشداد إلى مسيرة الله وصراط الله، يذكر علماء الحكمة والأخلاق وأهل المعنى وما شابه ذلك من العلوم التي تبحث حول المعارف، أن هيئات الأدب تنطوي على معاني اعتقادية ويثمر ظاهرة سلوكية، وبعبارة أخرى إن هناك ثلاث طبقات أو حلقات:

١ - حلقة رؤية اعتقادية سواء توحيدية أو غير توحيدية أو مادية.

٢ - ثم حلقة ثانية وهي الصفات النفسية أو الأفعال النفسية.

٣ - ثم حلقة ثالثة وهي الأفعال العضوية البدنية.

وهذه الحلقات الثلاث مع تسلسلها وانتظامها، هي المعادلة، مع تسلسل الترتيب، كلٌّ من علماء القانون، علماء الحقوق، علماء الفلسفات الإنسانية، علماء الأخلاق، وعلوم إنسانية عديدة تبحث عنها. سواء في الوضعية البشرية أو المرتبطة بالدينية، وهذه المعادلة مبرهنة في عدة علوم. فكل ظاهرة أدبية عند الإنسان تعكس عن تحصيل اعتقادي أو معنى اعتقادي يبني عليه الإنسان، وكذلك في كل سلوك عملي، من باب المثال، هناك رواية عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لشاب مرهق في الذنوب سخي أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل<sup>(١)</sup>. ويذكر

(١) فقه الرضا عليه السلام: ٣٦٢؛ الاختصاص للمفيد: ٢٥٣.

علماء الأخلاق في معنى هذه الرواية أن هذا السخي الشاب وإن كان قد ارتكب المعاصي، لكنه في باطن اعتقاده يؤمن بأن هناك قدرة في الواقع «سيبها عميم، وفيضه دعيم» فهذا يؤمن بالله ﷻ، بإيمان فطري، قلبي، عياني، يعني فطرته مجبولة على الارتباط بالله، من ثم هو أحب إلى الله.

إذن الفضائل الأخلاقية تنم عن وجوه عديدة من التوحيد، والردائل الأخلاقية - لا سمح الله - تنم عن وجوه عديدة من الكفر أو الشرك، وهذا الأدب والتعظيم والإجلال ينم عن مطلب اعتقادي، إن كان الإنسان يعتقد بهذه الكرامة والحبوة، والمقام الذي أعطاه الله ﷻ لحججه، فمن الواضح أنه يجب عليه أن ينكسر أمام هذا المقام، بما أن الحجة لله تعالى على مقام عالٍ محبوب قضاه الله، ومن قبل الله، فهو إذاً عين الخضوع والتسليم للتوحيد، ولا يصب في الشرك أو الكفر.

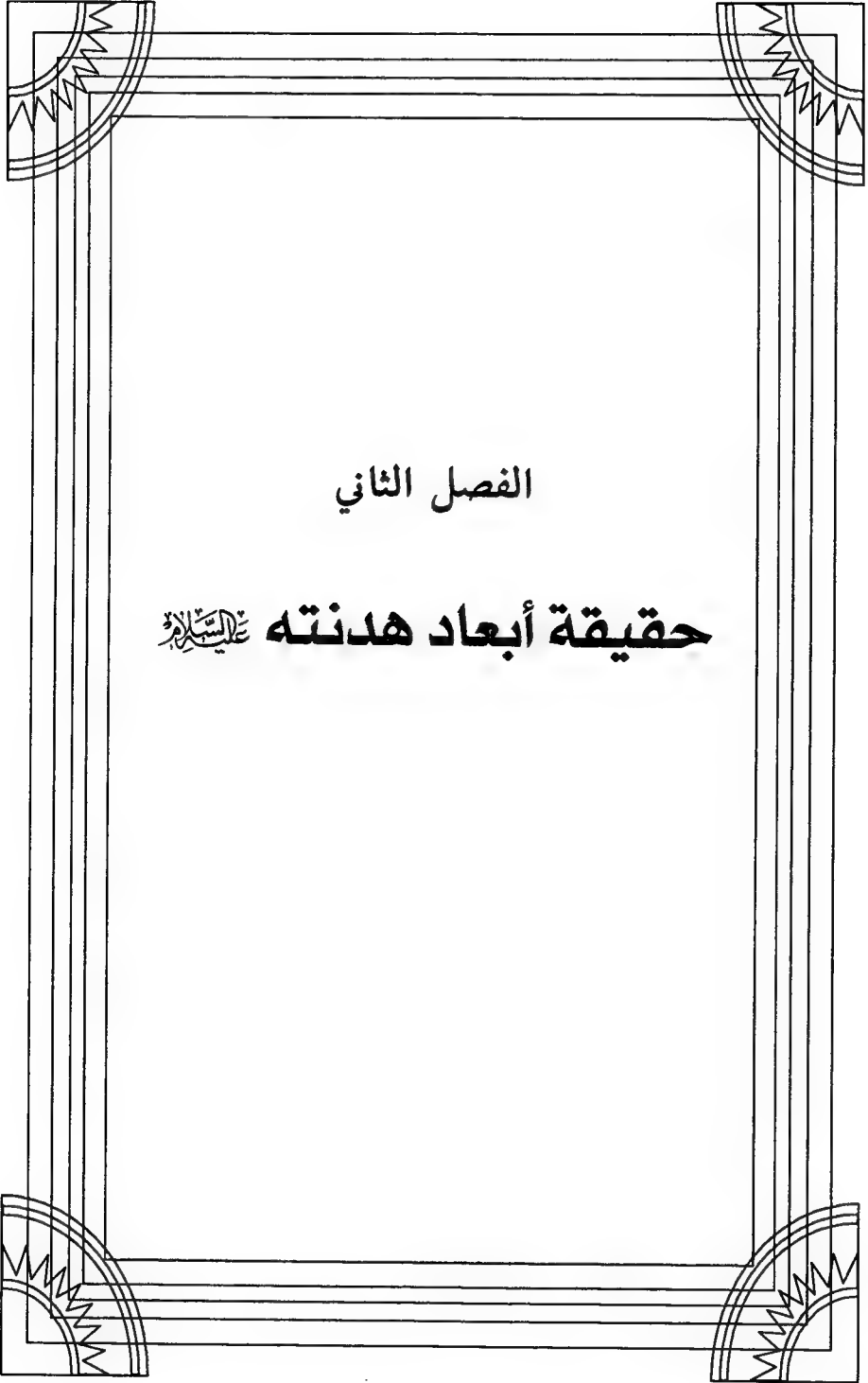
هذا الأدب فلسفته نفس الاعتقاد برسالة الرسول ﷺ، أو بإمامة الإمام أو بعصمة الإمام وطهارته، وبمقامه وقديسته، إذن فالقدسية ليست صنمية أو تأليهاً أو شركاً، بل على العكس هي عين التواضع والطوعانية للتوحيد؛ لأنها لله وللرسالة ولا تكفر بفعل الله، لأن الرسالة وهي حاكمية الله تعالى موطن من مواطن التوحيد؛ وبالتالي فإنك تطيع الله وتؤمن به.

إذن تعظيم من أعظمه الله هو من تعظيم الله ﷻ، وهذا عين التوحيد وعين الذوبان في التوحيد وعين الشفافية وعين الانصراف لصراط الله ولوجهه الكريم، وهذا في نفسه بهذا الشكل الموجز الذي مرّ - ومن الممكن وصف أركانه ومقدماته بشكل واسع - هو في نفسه دليل عقلي. فالتعظيم لرسول الله والتعظيم للإمام وما شابه ذلك، متلازم مع تعظيم القرآن الكريم وتقديسه، ولماذا أنصفت الشريعة المقدسة هذه المقدسات، فالكعبة مقدسة حتى عند خوارج هذا الزمان، فهل التقديس للكعبة

والتعظيم لها صنمية؟ يعني جعلناها صنماً باعتبار أن الله عز وجل حباها بالكرامة والقدسية والمكانة والعطاء، وهذا هو نوع من الطوعانية لله عز وجل ، بينما إباء ذلك هو استخفاف بأمر الله وفعل الله .

فإذن التعظيم أدب سلوكي إلزامي في نهج القرآن الكريم، والاستخفاف به نوع من الرد على هذه الآيات الكريمة.







## الحسن شبیه جدّه وأبيه:

كان الإمام الحسن ﷺ - كما في الروايات - أشبه برسول الله ﷺ من الصدر إلى الرأس، ومن الصدر إلى القدم أشبه بأمر المؤمنين ﷺ، فقد روي عن الإمام علي ﷺ انه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك<sup>(١)</sup>.

وعن أنس قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي وفاطمة «صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

الإمام الحسن ﷺ يرث من جدّه بوراثة اصطفاوية تكوينية الهيبة والسؤدد:

روي أن السيدة العظيمة فاطمة الزهراء ﷺ جاءت بالحسن والحسين ﷺ إلى جدّهما ﷺ في مرض موته وقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً.

فقال النبي الأكرم ﷺ:

أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جودي وشجاعتي<sup>(٣)</sup>.

(١) الاستيعاب، ج ١: ٣٨٤.

(٢) مسند أحمد ج ٣: ١٦٤.

(٣) الإرشاد، للمفيد، ج ٢: ٧؛ كشف الغمة، للأربلي، ج ٢: ١٤٠.



وسوف نلاحظ من خلال حياة الإمام الحسن عليه السلام كيف أن هذا السؤدد والهيبة كانت له عليه السلام ، منذ صغره في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته عليه السلام إلى يوم استشهاده عليه السلام .

فقد كانت هذه الهيبة والسؤدد الخاصة على نفوس القريب منها والبعيد بعد إذن من الله سبحانه وتعالى ، وكيف لا وهي صفات خلقها الله تعالى في شخصية النبي صلى الله عليه وآله روحاً ونفساً ، ثم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله نقلها الله تعالى وراثته تكوينية اصطفاية من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام الحسن عليه السلام .

ومن الطبيعي أن هذه الصفات هي متوارثة لدى عموم أهل البيت عليهم السلام ، فهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وخلقه وخلقه ، وأما الصفات الخاصة فهذه مخصصة للإمامين الحسين عليه السلام ، ولذا نرى في مصادر وكتب الطرف الآخر عندما يصلون إلى الإمام الحسن عليه السلام يبدون نوعاً من الإجلال الخاص له عليه السلام .



## سؤدد وشجاعة الحسين ﷺ :

وهذا السؤدد أيضاً ورثه الإمام الحسين ﷺ من أخيه ولكن بما أن حديثنا خاص عن الإمام الحسن ﷺ فلذلك نسلط الأضواء على حياته المباركة ﷺ ، وإلا فالسؤدد والهيبة قد ورثها الإمام الحسين ﷺ أيضاً من جدّه ﷺ عبر أخيه الحسن ﷺ ، ففي واقعة الطف نرى أن شهداء كربلاء قتلوا من خلال المبارزة أو المواجهة باستثناء أبي الفضل العباس ﷺ ، فإنه قتل غيلة وهذه ميزة خاصة لأبي الفضل العباس ﷺ ، في حين ميزة الإمام الحسين ﷺ أنه لم يقتل مباغته ولا بالمبارزة لأنهم لم يستطيعوا قتله ، بل من مسافة بعيدة استطاعوا قتله برميّه بالسهم والحجارة ، وهذا ما اعترف به عمر بن سعد لعنه الله حيث قال لقومه : (الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتال العرب ، فاحملوا عليه من كل جانب ، وكانت الرماة أربعة آلاف ، فرموه بالسهم فحالوا بينه وبين رحله)<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول ابن حجر : ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه ، إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول<sup>(٢)</sup>. وأما من حيث الهيبة فقد قال بعض أعدائه : لقد شغلنا جمال وجهه ونور بهجته عن الفكرة في قتله<sup>(٣)</sup>. فهذه الشجاعة التي ورثها ﷺ من جدّه ﷺ ليست صدفة أو اتفاقاً ، بل وراثه تكوينية ، اصطفاية .

(٣) اللهوف لابن طائوس : ٧٥ .

(١) البحار ج ٤٥ : ٥٠ .

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٩٧ .

## غياب الحقائق التاريخية:

إن حقائق التاريخ مغيبة عنا تماماً، بل ليس هذا التغييب والتعتيم في التاريخ فقط بل في الأحداث الخطيرة والحساسة التي نعاصرها الآن حقائقها مغيبة عن عموم الناس، فإنها - الأحداث - تزيف وتقلب عن وجهتها الحقيقية، وذلك بأن يعطيك نقطة موهمة ركزت عليها عدسة وكالات الأنباء أو الفضائيات ويهملون اللقطات الأخرى الأصلية المحورية الخطيرة، فلما ترى لقطة مبتورة وموهمة وهذه اللقطة طبعاً لو كانت من ضمن مسلسل من الأحداث تراها بواقعتها الصحيحة ولكن لما تراها مبتورة توهم وتأخذ بك الخيالات والمآخذ يميناً وشمالاً وبصورة بعيدة جداً، هكذا هي طبيعة النقل المبتور، والكلام هو نفسه في عدسة التاريخ. ولذا نرى الآن الكثير مما هو معشعش في أذهاننا عن الأحداث التاريخية أو المعاصرة فيها زيف كثير، لأن الحقيقة لم تصل إلينا، ومن بإمكانه أن يلم بالحقيقة أو يجمع كل الحقائق إن هذا صعب جداً ورب مشهور لا أصل له.

وقد ذكر مراراً في بحوث مراكز الاستراتيجيات أن أكثر الحروب سواء كانت إعلامية أو عسكرية أو اقتصادية بل حتى المواجهات والمنازعات هي حروب نفسية، يعني زيف وخدعة وتحايل، فالحرب خدعة، عشرون بالمائة واقعية حق والباقي كله تطويل إعلامي وإثارات مشاكل وفتن وإحن، ولكن الحقيقة شيء آخر، ومن باب المثال الآن أكثر المشاكل في العالم الإسلامي هي بسبب الانتماء العقائدي، والكلام هذا

ليس من باب التعصبات الطائفية ولكن من باب أنه يزعم أن الخريطة الديمغرافية للعالم الإسلامي والعقائدي يدعي أن الأغلب من أهل السنة، ولكن هذه ليست من الحقيقة، ولا المقصود أن أكثر العالم الإسلامي اثنا عشرية، بل من فرق الشيعة التي المدار والضابطة فيها هي من فضل علياً فدخل فيه الواقعة والزيدية والإسماعيلية، فمثلاً الصوفية أكثر العالم السني التي تتبنى في مذاهب الفروع متمسك بالمذاهب الأربعة، أمّا أكثر العالم الإسلامي في العقائد ليس هم أشعرية ولاسلفية، ولا معتزلة، ولا ماتريدية، ولا كرامية، ولا إباضية، ولا جهمية، بل هي من مذاهب الصوفية، فإن الصوفية سبعون فرقة، وفي أوائل معتقدتهم أن الأئمة الإثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب ﷺ وآخرهم المهدي (عج) ولد وهو حي يرزق، وهم أئمة الملكوت، وأئمة الآخرة هذه هي معتقدات الصوفية، فهي فرقة من فرق الشيعة ولا أريد أن أدعي أنهم اثنا عشرية فقد تسجل عليهم نقاط، وهذا بحث آخر. ولهم وجود في تركيا والجزائر وغير ذلك من البلدان الأخرى، وهذه الحقيقة لم ينبه عليها علماء الإمامية وتجاهلوا في تراجعهم وفي علم الملل والنحل. وإظهار هذه الحقائق والبحث عنها يحتاج إلى جهد وتعب، نعم جزى الله الماضين من علمائنا وشكر الله سعيهم، ولكن هذا الجهد هنا يراد له أجيال وجهود متظافرة.



### قوة تدبير أمير المؤمنين عليه السلام:

مثال آخر على التعريفات التاريخية المغلوطة أنه يقال إن تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام لم ينتصر في معركة صفين وحربه مع الأمويين، وهذه الفكرة معشعشة في الذهن بتصديق وبجرعات أموية - عباسية، بينما القرائن المتناثرة التي يمكن جمعها من مصادر تاريخية كثيرة جداً تبين أنه لو قدر الله أن يبقى الإمام علي عليه السلام بعد شهر رمضان لكانت عدة الجموع التي حشدتها في النخيلة بعد أن صفيت من الخوارج ومن الشكاك والمتعاسين تلك العدة هي الضربة العسكرية القاضية لمعاوية، وليس هذا إعجازاً أو إرهاباً غيبياً. هذه الحقيقة مغيبة أصلاً عن أذهان المحبين، فضلاً عن المناوئين فمن خصائص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جعلها الله تعالى له كما قال الإمام الحسن عليه السلام في تأبينه عليه السلام بعد دفنه: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسه وكان رسول الله ﷺ يوجهه برأيه فيكتفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه...»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما ورد في الزيارات لأمر المؤمنين عليه السلام... «السلام على من أيدته الله بجبرئيل وميكائيل».

فقد قدر الله لعلي بن أبي طالب عليه السلام أنه لا يدخل في جيش ويهزم.

(١) أنساب الاشراف، ج ٢: ٤٩٩.

وقد اعترف بذلك عدوّه معاوية حيث قال عندما بلغه خبر مقتل أمير المؤمنين ﷺ : إن الأسد الذي كان يفتersh ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه . وأنشد يقول :

قل للأرانب ترعى أينما سرحت وللظباء بلا خوف ولا وجل<sup>(١)</sup>

إذن في أي دولة يهزم الإمام علي ﷺ؟! ، بل كان تدبيره ﷺ بنحو كما تطالعنا بذلك جملة من القصاصات المتناثرة - بدواعي طمس الحقائق - تمثل تشكيلة من الجيش الذي يصول به ، لا يعتوره ما أعاق النصر من قبل قلة بصيرة أفراد الجيش فكان بتدبير وضربة قاضية من الإمام علي ﷺ لمعاوية هي صفين ، ولم يفل منها في آخر الأيام إلا بحيلة ، وقليل ما أخذ أنفاسه معاوية وإلا كانت ضربة تقصم ظهره ، ولكن انظر إلى هذا التاريخ المقلوب بأقلام تبتغي التعميم على الحقيقة كيف يقرأ هذه الحادثة .



(١) منتهى الآمال للقمي ، ج ١ : ٢٥٨ .

## حقائق أخرى:

الآن أيضاً في أذهان الكثير من المسلمين في معركة أحد مشهد للأحداث المرتسم في أذهان عموم الأجيال أنه ينقطع بهزيمة المسلمين، ومن الواضح أن المسلمين انهزموا ولكن هل انتهت المعركة؟ ! . كلا ولكن قطعت سلسلة مشاهد وحقائق الحدث لأن المقطع اللاحق مرتبط بالإمام علي عليه السلام ، فهو الذي حقق النصر مرة ثانية للمسلمين وهزمت قريش، قريش التي انتصرت على رسول الله ﷺ حسب ادعاء القلم الأموي في كتب التاريخ، حيث إنهم ادعوا أن رسول الله ﷺ صعد إلى جبل، فهل رسول الله ﷺ يفر من الحرب؟ ! . كيف يفر من الحرب والقرآن أمره أن يحارب ولو بنفسه الشريفة مفرداً كما في قوله تعالى: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾<sup>(١)</sup> فمن خصائص رسول الله ﷺ أن الجهاد واجب عليه ولو بقي وحيداً، فكيف يصعد إلى الجبل فراراً من الحرب، إنها دعاوى متناقضة مع ثوابت الدين، إن قريشاً المتغطسة والمتوغلة في الفاحشة والرذيلة ورؤسائها وزعمائها الذين بقروا بطن عم النبي ﷺ حمزة عليه السلام ومثلت به لا تغير على المدينة بعد أن انتصرت ولا تسبي النساء ولا تسرق الأموال؟! ، فهل هم نزيهون أم ملائكيون؟

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما انهزم الناس يوم أحد عن النبي ﷺ

(١) سورة النساء، الآية: ٨٤.



انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمد أنا رسول الله لم أقتل ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا وبقي معه علي ﷺ وسماك بن خرشة أبو دجانة رضي الله عنه فدعاه النبي ﷺ فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت في حل من بيعتك، فأما علي فأنا هو وهو أنا فتحول وجلس بين يدي النبي ﷺ وبكى وقال: لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لاجعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك فإلى من أنصرف يا رسول الله إلى زوجة تموت أو ولد يموت أو دار تخرب ومال يفنى وأجل قد اقترب، فرق له النبي ﷺ فلم يزل يقاتل حتى أثخنه الجراحة وهو في وجه وعلي ﷺ في وجه فلما أسقط احتمله علي ﷺ فجاء به إلى النبي ﷺ فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أوفيت بيعتي؟ قال: نعم، وقال له النبي ﷺ خيراً، وكان الناس يحملون علي النبي ﷺ الميمنة فيكشفهم علي ﷺ فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي ﷺ فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبي ﷺ فطرحه بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطع فيومئذ أعطاه النبي ﷺ ذا الفقار ولما رأى النبي ﷺ اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك فأقبل علي ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسمع دويّاً شديداً وأسمع أقدام حيزوم وما أهم أضرب أحداً إلا سقط ميتاً قبل أن أضربه؟ فقال هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ثم جاء جبرئيل ﷺ فوقف إلى جنب رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن هذه لهي المواساة فقال: إن علياً مني وأنا منه فقال جبرائيل: وأنا منكما، ثم انهزم الناس فقال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: يا علي امض بسيفك حتى تعارضهم فإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون

المدينة فاتأهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص، فقال أبوسفیان لعلي عليه السلام : يا علي ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير وكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد قد أقبل فدخل أبوسفیان مكة فأخبرهم الخبر وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمد كلما رحل أبو سفیان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفیان يوبخونه ورحل النبي ﷺ والراية مع علي عليه السلام وهو بين يديه فلما أن أشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى علي عليه السلام أيها الناس هذا محمد لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الذي قال: «الآن وقد هزمنا»: هذا علي والراية بيده حتى هجم عليهم النبي ﷺ ونساء الأنصار في أفنتهم على أبواب دورهم وخرج الرجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه والنساء نساء الأنصار قد خدشن الوجوه ونشرن الشعور وجززن النواصي وخرقن الجيوب وحرمن البطون على النبي ﷺ فلما رأيناه قال لهن خيراً وأمرهن أن يستترن ويدخلن منازلهن وقال: إن الله ﷻ وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها وأنزل الله على محمد ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ (١) (٢).

فقد أرادوا أن يغيروا على المدينة لولا مواصلة السير خلفهم حتى قال معد بن أبي معبد الخزاعي عندما سأله أبوسفیان «المشاق لله ولرسوله» عن المسلمين فقال: قد والله تركت محمداً وأصحابه يحترقون عليكم، وهذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) الكافي ج ٨: ٣١٨.

علي بن أبي طالب قد أقبل على مقدمته في الناس ، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه<sup>(١)</sup>.

ثم بعد ذلك قرر أبو سفيان الإسراع بالرحيل إلى مكة وبعد ذلك عاد النبي ﷺ إلى المدينة. فكيف ينزهون قريشاً وأبا سفيان وبني أمية عن مثل هذا وأنهم لم ينهزموا، وهذا ما نشاهده في عصرنا الراهن من قلب الحقائق وتزييف الأراجيف وتصوير الانهزام بطولة وشرفاً وتصوير البطولة خسارة وضياعاً وما شاكل ذلك من المقولات، وهذه حقيقة مرة، وترى بعض رواد الفكر لا يزال ذا نزعة أموية إلى الآن، والبعض يقبع في هذا الفكر الأموي المتبجح به في بعض البلدان، والبعض الآخر يتبجح بصحابة مجموعة السقيفة متقنعاً بالتشبيث بالقرآن وبالسنة النبوية وغير ذلك. ونرى إلى اليوم راية الأمويين وأسمائهم شعاراً خالداً له. فهناك بعض البلدان والمدن والمساجد تتبرك وتتمنن بالأمويين وأسمائهم. فهل تريد منهم أن يعطوك الحقائق أو يعترفوا بها؟.



(١) بحار الأنوار، ج ٢: ٩٩.

## الحوار والحقيقة الضائعة:

ونرى الكثير من المؤمنين إذا دخل في حوار مع الطرف الآخر يحاور لأجل المصانعة وبنفسية غير مصرّة على دراسة الحقيقة كما هي، ولا يصح مصادرة الحقيقة الأساسية بأي شكل من الأشكال، نعم لا بد أن نكون من دعاة الألفة الإسلامية ولكن لا على حساب أصل الحقيقة بل ألفة قائمة على الحقيقة لا ألفة قائمة على الزيف وعلى إغماط حق أهل البيت عليهم السلام، وإلا فهذه ليست ألفة وتآلفاً بل مآلها فرقة وتنازعاً لأن مودة القربى هي المحور قرآنياً للألفة الثابتة.

إن هذا التزييف الذي حوّل غزوة أحد إلى هزيمة على مر التاريخ وإلى الآن حتى الأطفال من المسلمين يستسيغون ذلك وأن النبي صلى الله عليه وآله صعد الجبل فراراً من الحرب. ولكن اعرض هذه المعطيات المنقوصة لأي خبير عسكري كان أو أمّني فإنه لا يصدق ذلك، نعم رسول الله صلى الله عليه وآله صعد الجبل وقال انظروا هل قريش تركب الخفاف - الجمال - أو الحوافر - الخيول - لكن بعدما انهزم المشركون مرة أخرى وهذا المقطع حذف لأنه تم بعلي عليه السلام وفيه هروب صحابة السقيفة.

يقول ابن هشام: ولما انصرف المشركون أرسل النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام في آثارهم وقال له: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتنطوا للإبل فأنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فأنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم. فقال

علي ﷺ: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة<sup>(١)</sup>.

نعم لكن انصرفهم لم يكن صدفة ولا فجأة كما تصوره وترسمه هذه المصادر والكتب بل بعدما أصيبوا بالهزيمة مرة أخرى.

وفي رواية أخرى: فأقبلت أصبح أي الإمام علي ﷺ - ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله ﷺ لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا عن المدينة<sup>(٢)</sup>.

هكذا يصورون رسول الله ﷺ أنه كان يتمنى - والعياذ بالله - أن لا تذهب قريش إلى المدينة خوفاً من الحرب وهو منعزل عن ساحة القتال. وأمير المؤمنين وأمير الغزوات ﷺ فرح بذلك أيضاً وهو يتفرج من بعيد. ألم يكن هذا تزيف للحقائق التاريخية. كتابة التاريخ أغلبها على المكائد والزيف والدجل من سلطات الدولة الأموية والعباسية وغير ذلك. ولكن الحق هو ما نطق به أهل البيت ﷺ بشواهد ناصعة وهذا ما قاله رسول الله ﷺ لخليفته أمير المؤمنين: علي مع الحق والحق مع علي<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة التحريف بالتاريخ ما ذكره في غزوة مؤتة أن رسول الله ﷺ جعل الأمير على جيش المسلمين زيد بن حارثة أولاً فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ثانياً فإن قتل فعبداً بن رواحة، وبعضهم جعل جعفر ثالثاً، بينما الحقيقة أن جعفر بن أبي طالب هو كان قائد الجيش أولاً فإن استشهد فزيد ثم عبداً، لكنهم يصعب عليهم قيادة آل أبي طالب وكون الطيار منهم.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣: ١٠٠.

(٢) سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق، ج ٣: ٥١٣.

(٣) الخصال للصدوق: ١٥.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكروه من أن غزوة تبوك لم يحصل فيها لقاء واشتباك عسكري مع جيش الروم بينما ما جاء في مصادر الخاصة يؤكد وقوع ذلك وهزيمة المسلمين في بدء المعركة ثم انتصارهم بمشاركة علي عليه السلام بعد انتدابه من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بنحو إعجازي.

ومن هنا فإن قضية وتأريخ الإمام الحسن عليه السلام قد لعبت فيها الأعلام الأموية وحرفتها عن مسارها الحقيقي، فإن كثيراً من القضايا الحقيقية غير واصلة إلينا.



## بيعة الإمام الحسن ﷺ :

إن بيعة المسلمين للإمام الحسن ﷺ وانتخابه للخلافة تختلف عن بيعة الخلفاء الثلاثة ما عدا أمير المؤمنين ﷺ ، فكما بايع الأنصار والمهاجرون أمير المؤمنين ﷺ طوعاً واختياراً، فكذلك الإمام الحسن ﷺ ، حيث أجمعوا على بيعته كل من الأنصار والمهاجرين بملء إرادة وحرية اختيار من دون فرض وإجبار ولا تهديد بسطوة حديد أو طمع مال. وقد جرت بيعته في اليوم الثاني بعد استشهاد والده أمير المؤمنين ﷺ ، حيث روي «ولما قتل أبوه علي رضي الله عنه ، بايعه أكثر من أربعين ألفاً، كلهم قد كانوا بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحبُّ فيه فبقي نحواً من أربعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أن عبدالله ابن عباس قام بين يدي الإمام الحسن ﷺ وقال:

معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه.

فاستجاب بالخلافة له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا، وأوجب حقه علينا، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة، وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبدالله بن العباس ﷺ إلى البصرة ونظر في الأمور<sup>(٢)</sup>.

(١) الاستيعاب، ج ١ : ٣٨٥.

(٢) الإرشاد للمفيد، ج ٢ : ٤.

ومن خلال هاتين الروایتين يتضح أن بيعة المسلمين والمهاجرين والأنصار للإمام الحسن عليه السلام وقعت بعد وفاة أبيه عليه السلام مباشرة، وهذا يدل على أنه لا يوجد أي خلاف في بيعته بل حصل الإجماع على ذلك هذا أمر.

والأمر الآخر أن الإمام الحسن عليه السلام لم يبايعه أهل الكوفة بأجمعهم بما فيهم من الأنصار والمهاجرين فحسب. بل على حد تعبير الرواية وما وراءها من خراسان، بل والبصرة أيضاً حيث أنفذ إليها عبدالله بن عباس.

وهذه ظاهرة عظيمة تدل على مدى الرصيد الموجود لأهل البيت عليه السلام في ثقافة المسلمين وعقيدة المؤمنين. بحيث جعلهم يأتون إلى الإمام الحسن عليه السلام ويباعونه طوعاً وبلا جبر ولا إكراه وبلا تهديد وبلا طمع، إنما تلقائياً عقدوا تلك البيعة لإمامهم عليه السلام وبملاء إرادتهم وإختيارهم مع أن الحسن عليه السلام هو ابن أمير المؤمنين عليه السلام فلم يمنعهم ذلك عن عقد البيعة له ولم يخالجهم أن تنتقل الخلافة من الأب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الابن الحسن السبط لرسول الله ﷺ أي إعتراض أو شبهة أو ريبة وكان الحال لديهم في تمام الانسيابية سيراً وعلى وفق وضوح من الموازين من القرآن والسنة المطهرة، ولا سيما أن جلّ المهاجرين والأنصار آنذاك كانوا في الكوفة مع علي عليه السلام لا مع الطليق معاوية، ولا ريب أن هذه أول ظاهرة توريث للخلافة الإسلامية بفعل من المهاجرين والأنصار والتابعين وسائر المسلمين وذلك في أهل بيت النبي ﷺ، بينما نفس هؤلاء المهاجرين والأنصار والتابعين وسائر المسلمين اعترضوا أشد الاعتراض والرفض والاستنكار على معاوية في عقد البيعة لابنه يزيد بأنه جعل الخلافة وراثية كسروية وقيصرية وملكاً عضوضاً، مع أن معاوية مارس مع المهاجرين والأنصار سياسة التهديد والإرعاب بالسيف والتطميع بالأموال بشكل كبير ورغم ذلك لم يستجيبوا له فما هو الفارق في رؤية



المهاجرين والأنصار والتابعين وسائر المسلمين بين أهل بيت النبي ﷺ وبين غيرهم من بني أمية أو بني العباس أو بني مروان أو بني تيم وبني عدي؟ ولماذا اندفعوا بشكل تلقائي سريع بلا تلكؤ ولا تمجمج ولا تباطؤ إلى عقد البيعة للحسن السبط لرسول الله ﷺ وهو ابن أمير المؤمنين علي ﷺ فما هو فرق الوراثة في بيت النبي ﷺ عن الوراثة في بيوت أخرى من سائر الناس؟ فهل الوراثة في بيت النبي ﷺ بمفاد قوله تعالى اصطفائية إلهية ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَالًا عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٢).

وهم دعوة إبراهيم وإسماعيل ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (٣).

﴿بَلَّةَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمُ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٤).

﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥).

بينما الوراثة في بيوت سائر الناس قبلية وعصبية عرقية، ولو نلاحظ بيعة يزيد فإنها تختلف تماماً عن بيعة الإمام الحسن ﷺ جملة وتفصيلاً، فإن المهاجرين والأنصار اعترضوا على معاوية عندما أراد أن يعقد البيعة لولده يزيد الفجور. وهذه البيعة بعد استشهاد الإمام الحسن ﷺ بستين.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الاحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

أي بعد بيعة الإمام الحسن عليه السلام باثنتي عشرة سنة، وخلال هذه الفترة - كما هو معروف - قد تسلط معاوية على رقاب الناس. وقد إعترضوا عليه أشد الاعتراض من أنه كيف تعقد البيعة لابنك يزيد فهل الخلافة وراثية كسروية وهرقلية؟ في حين هذا الاعتراض لم يعترض المهاجرين والانصار على أنفسهم في بيعتهم للإمام الحسن عليه السلام وهم يعرفون جيداً أنه ابن الإمام علي عليه السلام.



## بيعة يزيد الفجور والفسق:

يقول أبو الحسن المدائني: لما مات زياد، وذلك سنة ثلاث وخمسين، أظهر معاوية عهداً مفتعلاً فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد، فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، ويشاور، ويعطي الأقارب ويداني الأبعاد، حتى استوثق له أكثر الناس<sup>(١)</sup>.

حتى أن معاوية قال لولده يزيد المجون:

يا بني إني قد وطأت لك الأشياء وأذلت لك الأعداء، وأخضعت أعناق الناس لبيعتك<sup>(٢)</sup>.

وفي قول آخر: أخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد<sup>(٣)</sup>.

ولكن في المقابل نرى أمير المؤمنين عليه السلام لم يلجئ أمر البيعة لولده الإمام الحسن عليه السلام إلى المسلمين إرغاماً وإكراهاً على أنفسهم. مع أن النص الإلهي في القرآن وتنصيب النبي أن الأمر من بعد علي عليه السلام هو للحسن عليه السلام. حيث دخل عليه الناس يسألونه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أرايت إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن؟<sup>(٤)</sup>.

(١) العقد الفريد ج ٤ : ٣٤٥.

(٢) أنساب الأشراف، ج ٥ : ١٥٣.

(٣) الدولة الأموية: ٣٥٧.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٦ : ٨٠؛ مروج الذهب ج ٢ : ٤٢.

فلم يتهددهم ويتوعدهم ويتعسفهم لبيعة الحسن عليه السلام بل أوكل امتحان ذلك إلى مدى بصيرتهم وطاعتهم لنصوص القرآن ووصايا النبي في أهل البيت وأنهم أحق بالأمر من غيرهم.

بينما معاوية هدد المهاجرين والأنصار بالسيف وطمعهم بالمال ومع كل هذا لم يستجيبوا له إلا القلة القليلة فإنهم استجابوا تحت بريق السيف خوفاً من القتل، حتى أبناء الخليفة الأول والثاني <sup>(١)</sup> اعترضوا عليه أشد اعتراض.

وقيل إن أهل الحجاز لم يرضوا، فسار معاوية بنفسه على رأس جيش إلى مكة والمدينة وأخذ على أهلها البيعة ليزيد بالقوة، ولكن ظل نفر لم يقبلوا أن يبايعوا طوعاً، ولا هم استطاعوا أن يقاوموا، فسكتوا ثم أخذوا يعدون العدة للانتفاض على بني أمية حينما تسنح الفرصة <sup>(٢)</sup>.



(١) تاريخ الخلفاء ج ١٩٦ - ٢٠٣.

(٢) تاريخ صدر الإسلام: ١٢٠.

## الفرق بين البيعتين:

انظروا إلى الفرق بين البيعتين، ملحمتان تاريخيتان من الصحابة المهاجرين والأنصار متعاكستان، متجاذبتان، متخالفتان، فكيف يمكن تفسيرهما؟! وقد حدثت تلك البيعة الظالمة الغاشمة ليزيد المجون في غضون اثنتي عشرة سنة.

فربما يتساءل كيف المهاجرون والأنصار وصحابة رسول الله ﷺ، يعقدون البيعة طوعانية للإمام الحسن ﷺ ابن الإمام علي ﷺ بعد خلافة أبيه ولا يرفضون ولا يمنعون ولا يعترضون على أنفسهم، بأنكم عقدتم البيعة لابن الحسن ﷺ بعد الأب علي ﷺ، وأن الخلافة وراثية بينما أشكلتم بهذا الاعتراض والمحذور نفسه على يزيد بن معاوية الأموي. حتى قال عبدالرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقصر<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنها وراثية قبلية عشائرية. ولكن في مقابل ذلك لم يقل أحد بهذا الاعتراض والمحذور في خلافة الإمام الحسن ﷺ بعد أبيه أمير المؤمنين ﷺ، وهذا موقف عظيم في سيرة المهاجرين والأنصار وصحابة الرسول ﷺ والتابعين والصدر الأول من المسلمين ذو مداليل هامة كبيرة وكثيرة في العقيدة الإسلامية نابغة وكاشفة عن مدى حجم التشريع الإلهي في القرآن والسنة المطهرة في النص على إمامة وقيادة أهل بيت النبي ﷺ ونصبهم للخلافة، فكانت في الحسن ﷺ آية عظيمة على

(١) تاريخ الخلفاء: ١٩٦.

إمامة أهل البيت عليهم السلام خضع لتلك الآية جميع المهاجرين والأنصار وصحابة النبي صلى الله عليه وآله إلا من شذ، وكيف لا تتجلى في الحسن عليه السلام هذه الآية التي انقاد لها المسلمون في الصدر الأول وقد ورث الحسن عليه السلام عن جدّه المصطفى السؤدد والهيبة وساد مقامه في بصيرة عقول ونفوس المهاجرين والأنصار كيف وقد سمعوا نصوص القرآن الكثيرة في شأنه وشأن أصحاب الكساء النبوي جدّه وأبيه وأمه وأخيه، ونصوص النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسين (إمامان قاما أو قعدا) وأنهما (سيدا شباب أهل الجنة) والكثير مما رواه مستفيضاً الفريقان، فكانت البيعة الطوعانية للحسن عليه السلام من المسلمين، وهذا برهان عظيم يدل على أن سلالة أهل البيت عليهم السلام تختلف عن باقي السلالات، وأن سلالة أهل البيت عليهم السلام في ثقافة المسلمين التي استمدوها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة هي سلالة اصطفائية وليست سلالة قبلية بل ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.



(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

## خلافة الأول والثاني:

ومن ثم يتضح أن الصحابة من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين، لو خلوا وأنفسهم ولم يهددوا ولم يمانعوا بقبيلة بني أسلم عندما ملؤوا سكك المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله ﷺ كعامل ضغط من جماعة السقيفة على المهاجرين والأنصار على أن يعقدوا البيعة للخليفة الأول لما بايعوا أبا بكر بل لاندفعوا بإيعاز من القرآن والنبى ﷺ إلى بيعة علي عليه السلام وأهل بيته، كما حصل ذلك بعد عثمان، حيث اندفع المهاجرون والأنصار والمسلمين لبيعة علي عليه السلام بتدفق عظيم كالسيل الهادر كما ذكرته المصادر الحديثية والتاريخية لم يشهد مثله في عقد بيعة الأول فضلاً عن الثاني والثالث.

فعن زائدة بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢ هـ) قال: كان جماعة من الأعراب من بني أسلم قد دخلوا المدينة للميرة يوم الإثنين فشغل الناس عنهم بموت رسول الله ﷺ.

فأنفذ إليهم واستدعاهم وقال لهم: خذوا بالحظ والمعونة على بيعة خليفة رسول الله ﷺ واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه! قال (أي قدامة): فوالله لقد رأيت الأعراب قد تحزموا واتشحوا بالأزر الصنعانية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خطبوا الناس خطباً، وجاؤوا بهم مكرهين إلى البيعة<sup>(١)</sup>.

(١) الجمل للمفيد: ١١٩.

وروى الطبري عن الكلبي: إن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: لما رأيت أسلم أيقنت بالنصر<sup>(١)</sup>. وفي الموفقيات: فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن العملية كانت محبكة وتحت الضغط والتهديد، وهذه القضية نفسها تكررت مع الخليفة الثاني والثالث. وهي امتداد وبقاء لظاهرة موازين القوى الاجتماعية السياسية لظاهرة تكتل الأحزاب في المجتمع القبلي قبل دخوله في الإسلام تحت خوف قوة السيف الذين شكلوا حرب الخندق وهذه الشبكة من معادلة القوى لم يبادوا ولم يفنوا، وإنما انتشروا، ولم يكن ترابطهم وتواصلهم وتواجههم وتكتلهم نوع من التجمع المعلن بل مبطن وفي السر، وما أن توفي رسول الله ﷺ عاد إلى البروز لكي يسيطر على الأوضاع ويستولي على أوضاع المدينة بسبب وبعد التصدع الذي حصل عند الأنصار، وبسبب هذا التصدع طمعت القوى الأخرى أن تستولي على أوضاع المدينة المنورة ببني أسلم. بعدما كانوا - الأنصار - اليد الضاربة لرسول الله ﷺ وبهم قد أسس دولته في المدينة ولهم أطمأن النبي ﷺ وهاجر من مكة إلى المدينة، ولكن هذه اليد تصدعت فيما بعد وفاته ﷺ، بعدما كانت هي اليد الضاربة والدافعة لرسول الله ﷺ ولمشروعه الإسلامي الكبير، وقد أشارت إلى كل هذا السيدة العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها بعد وفاة النبي ﷺ، حيث ذكرت ذلك مفصلاً في تحليلها السياسي لأوضاع المسلمين تحليلاً دقيقاً.

(١) تاريخ الطبري ج ٢: ٤٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٦: ١٩؛ غاية المرام للبحراني ج ٥: ٢٠٦.



## بيعة الإمام علي المرتضى عليه السلام:

والمهم بقيت هذه الأحداث إلى أن انتهت خلافة الخليفة الثالث، وعندما بدأت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرية، جاء المسلمون والمؤمنون من المهاجرين والأنصار بملء طوعانيتهم وحريرتهم يبائعون أمير المؤمنين عليه السلام، لأن هذا الموقف هو الوظيفة الطبيعية الأولية لتربية القرآن ولتربية الحديث النبوي لعقلية الصحابة من المهاجرين والأنصار والمسلمين، فلو خلوا وأنفسهم ولم يكن هناك سيف رادع من بني أسلم أو من معاوية أو من يزيد الفسق والفجور ومن كل الأنظمة الجائرة، فإن المسلمين بطبيعتهم المنطلقة من تعاليم القرآن والسنة النبوية يميلون إلى أهل البيت عليه السلام، ويولوهم سدة الخلافة، ولذلك نلاحظ هذه الظاهرة وهي ببيعة المهاجرين والأنصار بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام من دون أي تلكؤ ولا أي تأخير ولا تباطؤ. ومن الواضح أن المهاجرين والأنصار في ذلك الحين كانوا في العراق ولم يكونوا في الشام إلا النزر القليل جداً، وهذا النزر القليل ما ذهبوا إلى الشام لولا تسلط معاوية عليهم بضخ الأموال الطائلة ليرشيتهم لصالحه.

وإلا فأكثرهم الغالب قد سكنوا الكوفة لأنها هي دار الإسلام والخلافة آنذاك.



## بيعة الإمام الحسين عليه السلام :

وبعد هلاك معاوية عقد المسلمون البيعة للإمام الحسين عليه السلام وهذه نكتة بالغة الأهمية في سيرة المسلمين في الصدر الأول بعد ظاهرة اندفاعهم كالسيل المتدفق مرة ثالثة إلى أهل البيت عليهم السلام بعد ظاهرة بيعتهم لعلي عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فإن الكتب التي أتت لسيد الشهداء عليه السلام كانت من الشام والعراق فضلاً عن اليمن وأهل مكة والمدينة، وهذا ما صرح به الإمام الحسين عليه السلام خلال حديثه مع الحر بن يزيد الرياحي، حيث قال الإمام الحسين عليه السلام للحر بن يزيد الرياحي ولأصحابه :

أيها الناس أنا ابن بنت رسول الله ﷺ ونحن أولى بولاية هذه الأمور عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالظلم والعدوان فإن تثقوا بالله وتعرفوا الحق لأهله فيكون ذلك لله رضى، وإن كرهتمونا وجعلتم حقنا وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم وقدمت به رسلكم انصرفتم عنكم. قال : فتكلم الحر بن يزيد بينه وبين أصحابه فقال : أبا عبدالله ! ما نعرف هذه الكتب ولا من هؤلاء الرسل. قال فالتفت الحسين عليه السلام إلى غلام له يقال له عقبة بن سمعان فقال : يا عقبة ! هات الخرجين اللذين فيهما الكتب، فجاء عقبة بكتب أهل الشام والكوفة فنشرها بين أيديهم ثم تنحى، فتقدموا ونظروا إلى عنوانها ثم تنحوا<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى المصادر الأخرى

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٤٣٣ ؛ وقد أخرج عن الفتوح ٨٧/٥ ؛ وتاريخ الطبري ٣٠٦/٣ ؛ ومقتل الحسين للخوارزمي : ٢٣٢/١ ؛ وبحار الأنوار : ٢٣٨/٤٥ ؛ والعوالم : ٢٣٧/١٧ ؛ والبداية والنهاية : ١٧٨/٨ .

التي ذكرت أهل البصرة وتعاطف الصحابة وأبنائهم في المدينة ومكة ومعه ﷺ .

وقال ﷺ أيضاً:

أيها الناس إنني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فليس لنا إمام... .

فقال له الحر: أما والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر.

فقال الإمام الحسين ﷺ لبعض أصحابه: يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه... (١).

وكان ممن كاتبه وبايعه شيث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعروة بن قيس وغيرهم الذين أصبحوا فيما بعد تحت قيادة عمر ابن سعد لعنه الله بسبب ما أشرنا إليه سابقاً من سطوة الظلمة والسيف عليهم.

وقد اجتمع وجهاء أهل الكوفة في بيت سليمان بن صرد الخزاعي:

وقام سليمان خطيباً بهم وقال:

«... وقد قعد موضعه - أي معاوية - ابنه يزيد وقد بايعه جماعة من

سخفاء العقول وسفهاء الحلوم...».

وعندما أتم خطبته قال القوم:

«لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا ونبذل مالنا دونه...» (٢).

إذن البيعة قد تمت للإمام الحسين ﷺ حتى من بعض أعدائه وممن

(١) البحار ج ٤٤ : ٣٧٤؛ ناسخ التواريخ ج ٢ : ٣٢٧.

(٢) المصدر السابق.

قاتله. يعني أن هذه الظاهرة التي هي بالحقيقة حصلت للإمام الحسن عليه السلام هي بعينها حصلت وتمت للإمام الحسين عليه السلام ولكن بشكل أخف وذلك باعتبار تبعثر الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية آنذاك. ولذلك ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنه كان المقدر لبدء دولة أهل البيت مع التمكين في الأرض كوراثة الصالحين المتقين لعاقبة الأرض التي لا تزول أن تبدأ بالإمام الحسين عليه السلام فيكون هو مهدي آل محمد (عج) أي المقيم لدولة الوراثة الاصطفائية دولة التعاقب للمتقين ومن بعده يتعاقب على تلك الدولة بقية الأئمة عليهم السلام ، إلا أن إخفاء المؤمنين والمحبين في تعاليم القيام بنهضة سيد الشهداء عليه السلام هو الذي بدا لله تعالى ، يؤخره إلى خروج قائم آل محمد «عج».



## الإمام علي الرضا ﷺ وولاية العهد:

وأما ولاية العهد التي احتال بها المأمون العباسي للإمام الرضا ﷺ فهي لم تكن عن صدفه ولا حسن نية من المأمون، بل أجبر على هذا العهد لضغط الشارع الإسلامي، فلماذا لم يأت المأمون العباسي بأحد فقهاء أهل سنة جماعة السقيفة أو أحد الرموز السياسية الموالية له ويجعله ولياً للعهد وهذه ظاهرة رابعة في المسلمين تجاه أهل البيت ﷺ يلاحظها البصير الفطن، والسبب هو أن طبيعة الشارع الإسلامي هو الذي يملئ ويضغط ويحكم على السلطات الجائرة بالميل إلى آل الرسول ﷺ، وتلك الطبيعة في المسلمين منطلقة بسبب تثقيف القرآن الكريم وتثقيف الحديث النبوي، فهما اللذان يملئان على المسلمين أن يميلوا إلى أهل البيت ﷺ من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. وإنهم أصحاب الفيء وإدارة المال العام ﴿مَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهكذا الأحاديث النبوية الشريفة «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك»<sup>(٤)</sup>، و«كمثل باب حطة في بني إسرائيل»<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك من الأحاديث.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣. (٤) تفسير الألوسي ج ٢٥: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣. (٥) الأمالي للطوسي: ٦٣٣.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٦.

ومن الملفت للنظر كظاهرة خامسة أن المسلمين في كل بقاع الأرض يهتفون بقلوبهم للإمام المهدي (عج) ولظهوره وخروجه وإقامته لدولة العدل والقسط في الأرض فإن تثقيف القرآن وتثقيف رسول الله ﷺ للمسلمين تراهم يميلون إلى خلافة وإمامة أهل البيت عليهم السلام ولكن بشرط أن يُرفع عن رؤوسهم السيف القامع من حكومات الجور وسلاطين الطغيان، ويرفع عنهم طابور النفاق الذي يمول من حكام البغي والعدوان والتآمر ووعاظ البلاط الملكي والحكومي ويطمع ويجبن ويخذل الناس.

فإذا رفعنا الطابور القامع والطابور المرشي للأموال، فسوف يعود المسلمون إلى جادة أهل البيت عليهم السلام وهذا برهان عظيم على كون تعاليم القرآن الكريم وتعاليم النبي ﷺ هما اللذان يشددان وبكل قوة على إمامة وخلافة أهل البيت عليهم السلام ، وأن توارثهم وراثته اصطفاية من الله.



## آل الأنبياء:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، سلالة وذرية نورانية وليست سلالة ترابية طينية. فإن هناك عدة من نماذج الآل للأنبياء في القرآن الكريم مثل: آل إبراهيم: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

آل يعقوب: ﴿عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.  
آل داود: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

آل موسى وآل هارون: ﴿وَمِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٥)</sup>.

آل ياسين: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِيْلَ يَاسِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

فإن الإل بمعنى الرحم ﴿لَا يَرْفُؤُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾<sup>(٧)</sup>، ف(إل ياسين) مثل آل ياسين يعني رحم النبي ﷺ وقربى النبي ﷺ، ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِيْلَ يَاسِينَ﴾ فهم الآل الوحيدون الذين سلم الله عليهم في القرآن من بيوتات الأنبياء.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٠.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٣.

وإن هذه الآل للأنبياء ليست كآل أبي سفيان وآل أمية وآل مروان وآل زياد وآل فرعون، وإنما هي آل بيوتات الأنبياء، فهم آل وسلالة اصطفائية، وهذا مع أن القرآن الكريم في تعاليمه ينبذ العصبية العشائرية والجاهلية وما شابه ذلك بمعنى أنه يهذبها أو ينظمها. ولكن التعصب بشكل مطلق فإن القرآن يردعه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾<sup>(١)</sup>. ولكن في المقابل نرى القرآن الكريم يؤكد على عظمة هذه البيوتات وهذه السلالة، لأنها اصطفاء ووراثه واختيار إلهي.



(١) سورة الفتح، الآية: ٢٦.



## احتجاج الإمام الحسن ﷺ :

ذكرنا خصائص للإمام الحسن ﷺ ومن تلك الخصائص التي امتاز بها ﷺ بين أهل البيت ﷺ ، وهو حجاجه مع الطرف الآخر، سواء كان الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث وحتى مع معاوية. لم يكن في كلامه أي مواراة أو مdahنة، بل كلامه ﷺ صريح ومقنع ويفلج بالحقائق وبلا أي تستر، فمثلاً في خطبة أمير المؤمنين ﷺ المعروفة بالخطبة الشقشقية نرى الإمام علياً ﷺ في بداية الخطبة تارة يكشف الأوراق وأخرى يجاري الناس على ما جروا عليه ولو بحسب الظاهر.

وهكذا الأمر في خطب الإمام الحسين ﷺ حيث فيها عموميات وليس فيها تصريحات أو مكاشفات عن الطرف الآخر بل خطوط عامة تارة وأخرى تصريحات، مع أن سيد الشهداء ﷺ لم يبايع معاوية حتى في نفس الظرف الذي هادن فيه الإمام الحسن ﷺ معاوية. في حين الإمام الحسن ﷺ من صغره - بعد وفاة النبي ﷺ - إلى استشهاده كانت كل كلماته هو كشف الحقائق وكشف المستور، وهذه خصيصة عظيمة امتاز بها الإمام الحسن ﷺ.

ففي خلافة الأول نادى الإمام الحسن ﷺ على أبي بكر وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ أن انزل عن منبر جدي وأبي ليس هذا المقام مقامك. وهذا حرج شديد للسلطة الحاكمة، فقد روي أن الإمام الحسن ﷺ رأى أبا بكر على منبر جدّه رسول الله ﷺ والناس محدقون به، فاندفع نحوه مسرعاً وهو يقول:

انزل عن منبر أبي.

فتبسم له أبو بكر وقال: بأبي أنت يا بن رسول الله لعمري إنه منبر أبيك لا منبر أبي<sup>(١)</sup>.

وقد روي في كتاب أحوال السقيفة أو كامل البهائي للحسن بن علي بن محمد علي بن الحسن الطبري المشهور بعماد الدين، وهو من أعلام القرن السابع الهجري ومن معاصري العلامة والمحقق الحليين ونصير الدين الطوسي، وقد جاء في كتابه: «وفي اليوم التالي أقبل الناس لبيت فاطمة للصلاة على جنازتها، وعندما رأى المقداد أبا بكر قال له: لقد دفناها البارحة - أي السيدة الزهراء عليها السلام -، فقال له عمر: يا أبا بكر ألم أخبرك أنهم فاعلون ذلك، قال المقداد: لقد أوصت بذلك حتى لا تصلّي على جنازتها، فأخذ عمر يضرب المقداد على وجهه ورأسه حتى أجهده كثرة الضرب، فخلصه الناس من بين يديه، فقام المقداد وقال له: لقد رحلت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا والدم ينزف من ظهرها وضلعها من ضربكم بالسيف والسوط إياها، وإنني لأحقر عندكم من علي وفاطمة. فقال عمر: والله لأحق الناس بالضرب والعقوبة علي بن أبي طالب، فجاؤوا إلى علي وكان جالساً عند باب بيته وأصحابه مجتمعون حوله، فقال عمر: يا علي، ألن تدع حسدك القديم، فقد غسّلت رسول الله من غير حضور منا، وصلّيت على فاطمة من دوننا، وحملت الحسن عليه السلام على أن يصرخ في وجه أبي بكر أن انزل من منبر جدي، فلم يقل علي في جوابه شيئاً. فقال عقيل: وأنتم والله لأشد الناس حسداً وأقدم عداوة لرسول الله وآله، ضربتموها بالأمس وخرجت من الدنيا وظهرها بدم وهي غير راضية عنكما»<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الخلفاء: ٩٠؛ الصواعق المحرقة: ١٧٥؛ سيرة الأئمة الاثني عشر، ج ١: ٤٧٧.

(٢) كامل البهائي ج ١: ٣١٢.

وكذلك في خطبه ﷺ بعد مهادنته لمعاوية أوضح الخطوط العريضة أو الحمراء كما يقال ومن تلك الخطب التي قال بعضها بمحضر من معاوية نذكر هذه المقاطع الشريفة:

«..... وإن معاوية زعم لكم أنني رأيت للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله ﷻ وعلى لسان نبيه، ولم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه. فالله بيننا وبين من ظلمنا. وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفياء، ومنع أمنا ما جعل لها رسول الله. وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقه رسول الله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية. فلما خرجت من معدنها، تنازعتها قريش بينها، فطمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأنت وأصحابك.....»<sup>(١)</sup>.

فهنا يبين ﷺ اغتصاب الخلافة منه ومن أبيه وبمحضر معاوية وجلالته وكشف في خطبته هذه الحقائق المستورة عن الناس. وفي خطبة أخرى يقول:

«وايم الله لا ترى أمة محمد خفصاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدروا (تصدوا) عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحسب ما مضى.....»<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من الشواهد الكثيرة في خطبه ﷺ وقد قالها مع وجود

(١) البحار، ج ١٠: ١٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٤: ١٠.

معاوية في مسجد الكوفة وقالها أخرى في مسجد النبي ﷺ، وبحضور معاوية وصفهم بما وصفهم رسول الله ﷺ من أنهم طلقاء ولعناء رسول الله ﷺ وأعدائه. وهذه الظاهرة من تجاذب قوة سياسية في قبال قوة سياسية وند في القدرة في قبال ند، وهذا الكلام وبهذه القوة يسلب الطرف الآخر من كل شرعية وصلاحيّة، ولم يستطع الطرف الآخر أن يتحرك أو يتكلم بشيء. أليس هذا سؤدد وهيبة دينية وسياسية واجتماعية.

ولم يقتصر الإمام الحسن عليه السلام على بيان مظلوميته فقط وبحسب ما رسمه له القرآن والسنة من موقعية قيادية للدين وللمسلمين بل بيّن مظلومية أهل البيت عليهم السلام كلهم كما ذكر ذلك في الخطبة الأولى التي مرت علينا، وراح يذكرهم بالسقيفة ومنعهم من الفيء وغضبهم فذكاً من أمه الزهراء عليها السلام، ووضع حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما خذله الناس وبعض الصحابة، وكان هذا الكلام والخطاب بمحضر معاوية وبمحضر بني أمية ومن لف لفيهم وكان اعتراضاً وإدانة ليس على معاوية فحسب بل على الخلفاء الثلاثة أيضاً وبمرأى ومسمع من الناس. وفي المجالس العامة والمجالس الخاصة التي كانت عبارة عن مؤتمرات وندوات سياسية تنعكس على عامة المسلمين، وكانت جهاراً وليست سراً، في حين نرى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يذكر ظلامته وظلامة الزهراء عليها السلام في مواطن محدودة ومؤقتة، ولكن الحسن عليه السلام كان يبوح بذلك على طول الخط مع أنه قد دخل في هدنة سياسية وحرية مع الطرف الآخر ولكن حجة خطابه ومستند شرعيته مهيمن على خطاب الطرف الآخر، وهذه خصيصة خاصة للإمام الحسن عليه السلام.



## حقائق سيرة الإمام الحسن ﷺ :

إن كثيراً من الحقائق لسيرة الإمام الحسن المجتبي ﷺ وهدنته مع معاوية قد غيبت عن مركز ومحط الأنظار، وقد حذفت من مصادر التاريخ وإلى يومنا هذا، ولكن هي موجودة بنحو قصاصات متناثرة ومخفية في الكتب الحديثة والتاريخية، ومن ينقي ويستقرئ ويتابع تلك المصادر ربما يجد تلك الحقائق مبعثرة هنا وهناك، وقد جمعت قرابة أربع عشرة قصاصة وسوف نذكرها تباعاً ولو فهرسياً.



## صلح أم هدنة؟:

إن الإمام الحسن عليه السلام لم يصالح معاوية إطلاقاً، وإنما جعل بينه وبين الطرف الآخر المتمثل بمعاوية وجلاوزته هدنة، والهدنة بمعنى إيقاف الحرب فترة مؤقتة، وإن عبر عن هذا بالصلح وذلك بمعنى التوافق على إيقاف الحرب بشروط ومعلق على الوفاء بها ولكن ليس بمعنى أنه ترك زمام الأمور للطرف الآخر، بل كيان كل طرف يبقى على حاله فالهدنة ليس انعداماً لأحد الكيانين وبقاء الآخر ولا ذوبانه بالآخر، وبعبارة أخرى إن الإمام عليه السلام بدل القضية ونظام الدولة من خلافة موحدة - تحت إمرة أمير المؤمنين عليه السلام ثم الإمام الحسن عليه السلام - إلى نوع من التعايش بين قوى المعارضة. وإن لم يكن على أساس فدرالية أو كونفدرالية، كما يعبرون الساسة اليوم.

ومن باب المثال، الحزب الفائز بالانتخابات له وجود في الوزارات ولكن الطرف الآخر أيضاً له ذلك الوجود، فكل يأخذ موقعه، وهذا نوع من حكومة الظل، وهذه عملية من الموازنة التعايشية، حيث لها صياغات مختلفة، وإن الكثير يخطئ في قراءة خطوة وسياسة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، ويظن أنه عليه السلام رفع يده عن كل شيء، ولكن واقع القضية ليس كما يزعم بل لم يرفع عليه السلام يده قط إلا عن شيء واحد ألا وهو إدارة التيارات الإسلامية الأخرى من غير أتباع أهل البيت عليهم السلام، مثل إدارة الخوارج، وإدارة المستضعفين من المسلمين، وأما تيار وكيان أهل البيت عليهم السلام فلم يتخل عنه لا من الجهة المالية أو

البشرية أو العسكرية أو الأمنية أو السياسية أو الديموغرافية وعندما نقول لم يتخل بمعنى أن زناد تجدد الحرب والمواجهة كانت بيده ﷺ وهناك شواهد تاريخية عديدة تؤكد أنه لو تعدى معاوية عن الخطوط الحمر التي توافق عليها الإمام الحسن ﷺ معه فسوف تبدأ المواجهة من جديد، وكان ﷺ يستطيع أن يتجنح بفئات مسلمين أخرى والتي هي من غير فئات أتباع أهل البيت ﷺ وهم كانوا على استعداد من ذلك. فهل هذا يعتبر تنازلاً وصلاحاً؟ كلا، بل هو هدنة ليس إلا. والشاهد على ذلك وعلى بقاء كيان أهل البيت ﷺ بكل ممتلكاته الحضارية، والعقائدية، والعسكرية، والمالية، والبشرية، ونذكر ثلاثة عشر شاهداً على هذا، ومن الطبيعي أن هذا ليس كل شيء مما يمكن أن يجده المتتبع المحقق في معطيات وقصاصات مروية بل جمع ذلك على عجالة، والشواهد هي:

## الشاهد الأول: سيطرة الإمام الحسن عليه السلام على زمام الأمور

إن معاوية الطليق كان حازماً أن الحسن بن علي عليه السلام لن يهادنه  
لجملة من المعطيات:

أولاً: لأن شيعته لا يرضون له بذلك.

وثانياً: الخوارج لن يسمحوا له بذلك أيضاً.

وثالثاً: أن الحسن عليه السلام لن يقدم على صلح لم يقدم عليه أبوه أمير  
المؤمنين عليه السلام.

ومعاوية بذلك يستطيع أن يفتن بينهم، لأنهم تيارات مختلفة من أتباع  
أهل البيت وخوارج وبقية المسلمين من تيارات أخرى تتبع أهواء وآراء  
عديدة. والكوفة آنذاك لم تكن كلها من أتباع أهل البيت عليه السلام، بل ثلثة  
قليلة أو الثلث منها كانوا من الشيعة. وليس كما يدعي البعض أنها كانت  
كلها موالية لأهل البيت عليه السلام، وهذه النسبة من قلة الشيعة كانت حتى عند  
استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. بل إلى نهضة المختار كانت  
كذلك الكوفة. والمختار كان انتصاره في الكوفة شبه معجزة، لأن ثلثي  
الكوفة كانوا من المناوئين لأهل البيت عليه السلام في ذلك الوقت. وكان فيها  
من أهل الشام أيضاً، ومن المعروف أن أهل الشام آنذاك كانوا ييغضون  
أهل البيت عليه السلام ومن النواصب.

والمهم أن معاوية كان يراهن على أن هذا التشتت في الكلمة والتمزق



والتنازع الداخلي في جيش الإمام الحسن ﷺ سوف يلعب على هذا الوتر وسوف يبید رؤوس كل الموالين للإمام الحسن المجتبی ﷺ . وبالتالي سوف تستقر له الأوضاع أكثر فأكثر . ولذا لم يكن بحسبان معاوية أن الإمام الحسن ﷺ سيستطيع أن يسيطر على الموقف وتقع بعد ذلك هدنة فيما بينهم . ومقتضى الهدنة عدم تعدي أحد الطرفين على الآخر وحفظ كل طرف كيان الآخر إلا إذا لم يف أحدهما للآخر بالشرط الذي عيناه من الشروط . بينما كان تخطيط معاوية أن لا يبقى أي كيان لشيعة علي بن أبي طالب ﷺ وأتباعه ، لا كيانهم البشري ولا الخطاب الفكري ولا العقائدي ولا المالي ولا العسكري بل ولا الانتشار الديمغرافي في البلدان . وهذا يؤرق معاوية والأمويين .

## الشاهد الثاني: معاوية وقتل عمرو بن العاص

لما صالح معاوية أراد أن يقتل عمرو بن العاص وذلك لأنه كان أحد المستشارين لمعاوية ، وكان يؤكد لمعاوية أن الصلح سوف لن يتم أبداً وإنما عرض الصلح وسيلة لهزيمة جيش الحسن ﷺ وتغلب معاوية وليس وسيلة لوقوع الصلح حقيقة حيث يحفظ كيان التشيع والشيعة على حاله بما لهم من عدة وعتاد وقدرة ومال وهوية وأنت - يا معاوية - اعرض على الحسن ﷺ ومنه بالصلح وبالتالي فإن عرض الصلح على الإمام الحسن ﷺ ورفضه له سوف يشعل الفتنة في جيش الإمام الحسن ﷺ مع الخوارج وبقية فئات المسلمين . حتى طعن الإمام الحسن ﷺ في فخذهِ<sup>(١)</sup> ، وبالتالي عرض الصلح إشعال لحرب الفتنة بينهم وسوف يكسر

(١) المقاتل ، لأبي الفرج : ٦٣ .

قوتهم ويدب الضعف والضعضة بينهم. هكذا كانت الخطة من عمرو بن العاص مع معاوية. ولكن الإمام الحسن هادن عليه السلام لما كان يمتلك من حنكة سياسية بل بصيرة سياسية غامضة جداً على عقول البشر. بحيث كان أصحاب الإمام لا يعلمون بالتدبيرات التفاوضية الأمنية، وكيف سيكون القرار العسكري والقرار الاستراتيجي. ولم يستطع الناس المقربون للإمام الحسن عليه السلام أن يجدوا في كلماته عليه السلام أي تناقض في المواقف أو الكلمات أو العهود التي قطعها على نفسه، فكم هو تدبير دقيق اتخذه الإمام الحسن عليه السلام. وبذلك رأى معاوية الطليق أن مشروعهُ الدموي قد أفضله عليه عمرو بن العاص، وبقي الإمام الحسن عليه السلام على ما هو عليه من كيان واتباع وقوة وقدرة وكأن الصلح نظير صلح الحديبية الذي وصفه القرآن بأنه ﴿فَتَحَّا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup> وإن لم يكن نصراً عسكرياً وحسماً حربياً، وقد ظنه الكثير من الصحابة أنه ذلة للمسلمين والحال أن واقعه عزة، وتخيلوه انهزاماً وفي واقع الحال هو فتح مبين، وكذلك الحال حصل الوهن والخيال تجاه هدنة و صلح الحسن عليه السلام سبط الرسول عليه السلام إلا أن معاوية أدرك أن هذا فتح للحسن عليه السلام فمن ثم عزم على قتل عمرو بن العاص الذي أشار عليه بذلك.



(١) سورة الفتح، الآية: ١٢.

## بنود المعاهدة:

ومن الواضح أن الإمام الحسن ﷺ عندما هادن معاوية لم يفقد أي رصيد من قوته العسكرية والأمنية والسياسية قيد شعرة. وذلك لأن الإمام الحسن ﷺ عندما هادن معاوية وضع شروطاً وكانت هذه الشروط كلها في صالح الإمام الحسن ﷺ إلا شرط واحد في صالح معاوية الأموي وهو أن يترك الأمر له وبشرط أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبسيرة الخلفاء الصالحين. فقد كانت صورة ومواد المعاهدة هكذا:

**المادة الأولى:** تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبسيرة الخلفاء الصالحين.

**المادة الثانية:** أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

**المادة الثالثة:** أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه في الصلاة، وأن لا يذكر علماً إلا بخير.

**المادة الرابعة:** إستثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمل تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي درهم. وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبحرد<sup>(١)</sup>.

(١) وهي ولاية بفارس على حدود الأهواز.

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة. وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي عليه السلام بمكروه، وأن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا.

وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي عليه السلام، ولا لأخيه الحسين عليه السلام، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ، وعائلته، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق<sup>(١)</sup>.



(١) صلح الحسن، للشيخ راضي آل ياسين: ٢٥٩ - ٢٦١.

## الإمام الحسين ﷺ لم يبايع معاوية:

ولما أبرم الصلح طلب معاوية وأصرَّ على البيعة من الحسين ﷺ ، فقال الإمام الحسن ﷺ : يا معاوية لا تكرهه ، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل أهل بيته ، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام<sup>(١)</sup> .

وهذا وعلى أية تقدير فهذا الإصرار منه ﷺ على عدم دخول أخيه الحسين ﷺ في توافق الهدنة يعني أنه يا معاوية نحن وأنت في الكوفة الآن مشتبكين وفي الكوفة يوجد نسيج عسكري شيعي لأهل البيت ﷺ ونسيج عسكري خوارج ، ونسيج عسكري أموي . فلمن يكون النصر إذن؟! ولذلك تقول المصادر: فنزل معاوية عند رغبة الإمام الحسن ﷺ ، فكيف نزل معاوية عند رغبة الإمام الحسن ﷺ ؟ . وهو مؤشر على وجود أوراق ضغط بها الإمام الحسن ﷺ على أعدائه وهو ﷺ لم يفقد أي ورقة من الأوراق . والغريب أن هذا التصوير غائب عن مخيلة الكثير .

ثم كيف يستطيع الحسن ﷺ أن يرغم معاوية على القبول بكل الشروط الذي وضعها الإمام ﷺ وهذه الشروط تصب في صالح أهل البيت ﷺ وشيعتهم ، وكيف يقرع ويجابه ﷺ معاوية بخطبه التي كشفت الحقائق المطموسة على ما جرى بعد وفاة الرسول ﷺ وتعزية بني أمية عن الشرعية لو لم يكن لديه - الإمام الحسن ﷺ - ظهر يحميه .

(١) منتهى الآمال، القمي، ج ١ : ٣٢٢ .

## معاوية ينقض الهدنة:

الموقف والمجازبة بين الحسن عليه السلام ومعاوية له دلالات كثيرة على واقع وحقيقة الهدنة:

منها: أن الإمام الحسن عليه السلام لا زال على قدرته ونفوذه قبل الهدنة وأن الأمور لم تستتب لمعاوية بمجرد الهدنة كما يظنه ويخاله الكثير. ومن ثم يتجاذب الحسن عليه السلام القرار والضغط على معاوية.

ومنها: أن مصير الخلافة الإسلامية قد اشترط بعد معاوية أنها للحسن عليه السلام ثم للحسين عليه السلام ومن البين أن مفاد هذا الشرط يعكس موقعية قوة وضغط تفاوضي يمتلك أوراقاً ونفوذاً وامتداداً في الساحة الميدانية لا ما يتخيله الكثير من كونه عليه السلام قد هادن وفقد سلاحه وجيشه وقدرته وسطوته بل هو أشبه ما يكون من توافقات الأحزاب المتعارضة على صيغة حكم توافقية يستلم فيها الأطراف والكتل سدة الحكم بشكل دوري بالنوبة، لاسيما وأنه عليه السلام لم يشترط الخلافة بعد معاوية فقط بل وبعده لأخيه الحسين عليه السلام وهذا يعزز ما مرّ أن في الذهنية العامة للمسلمين آنذاك التي تربت على تعاليم القرآن والحديث النبوي هو أن أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الحق للخلافة والوصاية ومن ثم لم ينقل عن أحد استنكار هذا الشرط أو النكير والطعن عليه وهذا من دلائل السيرة القطعية لدى الصدر الأول في أهل البيت عليهم السلام.

ومنها: أن فتح المجال للحسين عليه السلام خارج إطار الهدنة يعطي

مداليل أخرى من جعل المجال مفتوحاً لأهل البيت ﷺ في مواجهة المد الأموي وأن الخيارات أمامهم مفتوحة في معالجة توازن القدرة من دون تمكن معاوية في الالتفاف على الجسم العلوي في الأمة.

ولذلك عندما قال المسيب ابن نجية الفزاري<sup>(١)</sup> للإمام الحسن ﷺ ها هو معاوية قد نقض العهد<sup>(٢)</sup>. وذلك عندما قال معاوية إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون ألا وأني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي ولا أفي بشيء منها<sup>(٣)</sup>.

وقد قالها معاوية عند نزوله النخيلة وهي معسكر الكوفة وكان ذلك يوم جمعة فصلّى بالناس وخطب وقال قولته هذه.

إن معاوية لم يقل كلامه هذا في مسجد الكوفة لأنه كان يخشى من ردة فعل جيش الإمام الحسن ﷺ. وليس كما يصوّر البعض من أنه سلب كل شيء من الإمام الحسن ﷺ حتى السلاح، كلا. بل كان يستطيع أن يعيد المنازل والمناجزة مع معاوية بعد الهدنة، حتى أن في بعض المصادر أن سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ احتوش باشتباك أمني عسكري إلى الحلقوم مع معاوية ولو ندقق أكثر فأكثر فسوف يتضح لنا أن الموقف فيه نوع من المناورة الأمنية العسكرية استدرج فيها معاوية إلى بطن الكوفة، وقد مزجت التيارات العسكرية والأمنية داخل بعضها

(١) من أصحاب الإمام علي والإمام الحسن ﷺ ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم. قتل سنة ٦٥ في طلب ثار الحسين ﷺ ووالد جمانة زوجة عبدالله بن جعفر الطيار.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ : ١٩٧.

(٣) المقاتل لأبي الفرج الاصفهاني : ٦٩، منتهى الآمال للقمي ج ١ : ٣٢١.

البعض. فكان الإمام الحسن عليه السلام هو الذي يدير دفة الأمور، وكان هو الذي يملئ على معاوية شرطاً بعد شرط، وكان من ضمن تلك الشروط هي عدم مبايعة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية حتى كانت خطبته عليه السلام تقرر معاوية بين الحين والآخر، فأخذ يذكر معاوية بأنه من الطلقاء وابن الطلقاء وهو تعرية لمعاوية عن الشرعية وأن إمساكه بالخلافة اغتصاب لأمر الدين والأمة، وتارة أخرى يبين مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وتارة أخرى يبطل خلافة الثلاثة، وغير ذلك من المشاهد وليس في الكوفة فقط بل حتى في المدينة، بحيث وصل الأمر أنه عليه السلام قطع كلام معاوية عندما كان يخطب في المدينة. فقام الحسن بن علي عليه السلام فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وإن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدتي رسول الله، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله الأمانا حسباً، وأقدمنا كفراً وأخملنا ذكراً، وأشدنا نفاقاً.

فقال عامة أهل المجلس: آمين. فنزل معاوية وقطع خطبته<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا قال معاوية: والله ما نزل الحسن حتى أظلمت عليّ الأرض وهممت أن أبطش به، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية<sup>(٣)</sup>.

وهذا يعني أنه لم يستطع وإلا لاضطرب عليه الأمن وتصدع وإلا

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

(٢) كشف الغمة: ١٥٠؛ الاحتجاج للطبرسي ج ١: ٤٢٠.

(٣) الأمالي، للطوسي: ٨٢٤.



لفعلها، فالإمام الحسن عليه السلام قام بمناورة عسكرية فجعل اشتباكاً نسيجياً بين الفرق العسكرية الأمنية، لا يستطيع أن ينجو معاوية منه، وهذا طامة تورط بها معاوية، وليس كما يصوره الأمويون وعباد بني أمية أن معاوية حلیم، بل هو مخنوق بتوازن قوى ينفرد عليه حبل تماسك خيوط الوضع العام، وإنما أمسك معاوية نفسه بسبب قوة الإمام الحسن عليه السلام وحسن تدبيره الأمني والعسكري، بحيث لم يستطع معاوية أن يتنفس ويلعب على وتر الفتنة والمجابهة ومن ثم لم يستطع معاوية التخلص من قدرة الحسن عليه السلام إلا بالاغتيال السري لا بالمواجهة المعلنة فضلاً عن القبضة العسكرية أو الأمنية وهذا ما يؤكد ما نلاحظه من المعطيات والشواهد الكثيرة أن الحسن عليه السلام لم يفرط بعقد الهدنة بأي ورقة من خيوط القدرة التي كان يمسك بزمامها وإنما هي هدنة عسكرية وسياسية بين فصيلين سياسيين بقيا على إيقاف الحرب ومقررات التعاطي في التعامل السياسي.



## السلم وإيقاف الحرب:

ولكن الإمام الحسن عليه السلام أغلق هذا الباب وهو التسلط التام والقضاء على تعدد القوى في وجه معاوية بعقد السلم كما جاء في كلامه عليه السلام في خطبة قائلاً:

أيها الناس إن الله هدى أولكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وقد كانت لكم لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسلمون من سلمت وقد سلمت معاوية ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيْنَا﴾<sup>(١)</sup> وأشار إلى معاوية بيده<sup>(٢)</sup>.

فالسلم هنا نوع من التهذئة المؤقتة وهذا أشبه بعقد سلم بين قوتين، لا أنه إنفراد قوة وتشتت قوة أخرى وتبعثرها وذوبانها في القوة الأولى ومعسكرها. ومعنى قوله عليه السلام: (سلمت معاوية) أي أنا لا أزال أحتفظ بكل قدراتي، وأن هذا العقد متضمن لإبقاء قوة الإمام الحسن عليه السلام بما له من معسكر بلحاظ قدرات أتباعه وشيعته العسكرية. ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>. أي نوع من الجناح المؤقت وهذا يعطينا تقريراً وتصويراً عن الوضعية العسكرية وقدرة النفوذ وموقف الإمام الحسن عليه السلام بشكل بين. فكيان الإمام الحسن عليه السلام وكيان التشيع والشيعة لم يتصدع

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ١٣: ٢٧٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

بل تمت رعايته والحيطة عليه من التلاشي والإبادة في معمعة الاستئصال والمواجهة بين كل الأطراف، وإنما هو نوع من التسالم بين قوتين في أرض المسلمين، وإن كانت إحدى القوتين هي الأكثر عدداً أو بطشاً، ولكن تبقى القوة الأخرى في حالة موازنة ومعادلة مع تلك القوة الأولى. لا أن معاوية تفرد بالأمر وبالسيطرة على أوضاع المسلمين.

ولذلك قال الإمام الحسن ﷺ في خطبة: (... وأضع الحرب بيني وبينه)<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن الهدنة بين جبهتين عسكريتين متقاتلتين، والذي يجري هو إيقاف الحرب فقط، وليس معنى ذلك كما يتخيل الكثير - وللأسف من الخاصة بل ومن الأكابر - ويتصور ويتوهم أن هدنة الإمام الحسن ﷺ تعني أن الأمر في معسكر الإمام ﷺ قد تشتت وتبعثر. وهذه نظرة خاطئة بعيدة عن مسار الحقيقة بل تزلزل بنو أمية في نهضة الحسين ﷺ فإن النصر كان قاب قوسين لولا إخفاق بعض الشرايح وتخاذل النخب، شاهد على أن القاعدة الشعبية والعسكرية والنفوذية لأهل البيت ﷺ تم الحفاظ عليها بتنامي في عقد الهدنة الذي قام به الحسن ﷺ، بل الواقع هو (أضع الحرب).



(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ : ٦٦؛ ينابيع المودة للقندوزي، ج ٢ : ٤٢٧.

### الشاهد الثالث:

عندما وصل معاوية إلى الكوفة أبى وامتنع قيس بن سعد بن عباد عن مبايعة معاوية، وبسبب هذا أبى معاوية أن يأمن قيس بن سعد، وكان قيس من أخلص قيادات الإمام الحسن عليه السلام، وكان آخر لواء عسكري يقاتل بين يدي الإمام الحسن عليه السلام هو لواء قيس بن سعد، فقد كان زعيم الأنصار قائد شجاع ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام. وقد كان معاوية يهابه وكان يصر على بيعته، فقد روي لما تم الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد بن عباد يدعو إلى البيعة فأتى به وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المسرف ورجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصي الأنصار، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إني حلفت أن لا ألقاه - معاوية - إلا بيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح وسيف فوضع بينه وبينه ليبر<sup>(١)</sup> يمينه.

فمعاوية رفض أن يأمن قيس وأصرّ أن يقتله، ولكن الإمام الحسن هدد بنقض المعاهدة إن لم يكن قيس آمن. فنزل معاوية على ما طلبه الإمام الحسن عليه السلام.

وكانت هناك مكاتبات ورسائل بين قيس ومعاوية، وكان قيس يهاجم فيها معاوية ومن تلك الكتب:

(١) مقاتل الطالبين للأصفهاني: ٣٧.

فكتب إليه - إلى معاوية - قيس : أما بعد فإنما أنت وثن ابن وثن ، دخلت في الإسلام كرهاً ، وأقمت فيه فرقاً ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم يقدم إسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تنزل حرباً لله ولرسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدواً لله ونبيه والمؤمنين من عباده... (١).

ومع كل هذا فقد نزل معاوية على ما طلبه الإمام الحسن ﷺ ، وهذا يدل على أن الإمام الحسن ﷺ كان هو الذي يملئ على معاوية وليس العكس . فلو لم يكن للإمام الحسن ﷺ القدرة والسيطرة لما كان في قدرته أن يضغط على معاوية وكان معاوية يقبل بكل شرط يشترطه الإمام الحسن ﷺ ، وهذه مناورة سياسية وعسكرية وأمنية كان القائد الأول فيها هو الإمام الحسن ﷺ .

### الشاهد الرابع :

عدم بيعه الإمام الحسين ﷺ لمعاوية مع إصرار الأخير على ذلك ، - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - فتراجع معاوية عن إصراره هذا بعد ما قال له الإمام الحسن ﷺ :

يا معاوية لا تكرهه ، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل أهل بيته ، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام . وهذه خطوة عسكرية أمنية .

فقد كان هناك انتشار متداخل بين أهل الشام وشيعة أمير المؤمنين ﷺ في الكوفة ، وكان معاوية لا يستطيع أن يضغط عسكرياً وأمنياً على الإمام الحسن ﷺ إذن أي تفرد بالسلطة كان لمعاوية؟! .

لأن معاوية لو أراد أن يغتال الإمام الحسن عليه السلام فإن معسكر الكوفة وأهل البيت عليهم السلام سوف يقوده الإمام الحسين عليه السلام ، فهو البديل لأخيه الإمام الحسن عليه السلام . وهذا النائب لا يبايع ولا يهادن ولا يعقد مع معاوية عقد السلم ، وهذا يعني إبقاء ورقة بديلة وساعة صفر وضغطية على الطرف الآخر . فسيد الشهداء عليه السلام ليس بقعة جغرافية ، بل هو شريحة اجتماعية لها قدراتها ولها أحوالها ولها معسكرها .

إذن لا بد لنا أن نحلل الأوضاع بعضها البعض ، ولا نأخذ القضية من زاوية واحدة وتنعمى عن الزوايا الأخرى .

### الشاهد الخامس:

خُطب الإمام الحسن عليه السلام - والتي مرت سابقاً - فقد كانت تقرأ بقارعة مقذعة ومزلزلة على الخطاب السياسي لمعاوية ، حيث كانت خطبه عليه السلام سواء التي كانت في الكوفة أو المدينة تؤكد أن خلافة معاوية غير شرعية ، وظالمة ، وحق مغتصب وغير ذلك . ولم يكن هناك أي قول في خطبة عليه السلام يشير إلى شرعية معاوية إطلاقاً .

وهذا يدل على أنه ليس هناك أي بيعة أو صلح كما يظنه الظان ، بل صلح هدنة لوقف إطلاق النار مؤقتاً كما يصطلح عليه دولياً وليس اعترافاً بالكيان الآخر . وهذا يدل على مدى الرصيد الموجود في معسكر الإمام الحسن عليه السلام وأنه عليه السلام لم يفقده أبداً ، وإلا فهذه ليست عبارات عابرة نقرأها ونمر عليها ، وإنما هي تحليل لها خلفيات أمنية وعسكرية وسياسية .

## الشاهد السادس:

إن معاوية لما نقض المعاهدة وقال قوله ( . . . ألا وأني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي ولا أفي بشيء منها)<sup>(١)</sup>.

فإنه لم يذكر ذلك علناً أو بعد الهدنة مباشرة، بل قال ذلك عندما خرج من موقع الحدث حيث نزل في النخيلة التي هي معسكر الكوفة، لأنه كان يخشى من ردة فعل جيش الإمام الحسن عليه السلام.

وقيل إنه نقض الهدنة وهو في مسجد الكوفة، حيث روى أبو الفرج الأموي في مقاتله ما نصه:

ودخل معاوية الكوفة - أي بعد المعاهدة - وبين يديه خالد بن عرفة ومعه رجل يقال له حبيب بن حماد<sup>(٢)</sup> يحمل رايته حتى دخل الكوفة فصار إلى المسجد فدخل من الباب (الذي سمي فيما بعد بباب الفيل) واجتمع الناس فخطبهم معاوية فذكر علياً والحسن ونال منهما! والحسنان

(١) المقاتل: ٦٩.

(٢) ويذكر أن خالد بن عرفة كان مخالفاً لبني زهرة وأسلم وصحب النبي ﷺ، وكان علم عهد علي عليه السلام بوادي القرى، وقيل: مات، فدخل رجل جامع الكوفة وعلي عليه السلام على المنبر فقال له: يا أمير المؤمنين، قد مات خالد بن عرفة بوادي القرى فاستغفر له، فقال عليه السلام: مه إنه لم يمت، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن حماد، وكان حبيب حاضراً وسمع الكلام فقال وقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حماد وأنا لك محب ومن شيعتك فقال عليه السلام: فإنه كما أقول! وإياك أن تحملها ولتحملنها وتدخل بها من هذا الباب. الباب الذي سمي فيما بعد ذلك باب الفيل. (مقاتل الطالبيين: ٤٦؛ الإرشاد: ٣٢٩).

حاضران، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده وأجلسه، ثم قام هو فقال لمعاوية:

أيها الذاكر علياً أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله ﷺ وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك ثيلاء، فلعن الله أخملنا ذكراً والأمناء حسباً، وأشرنا قدماً، وأقدمنا كفرأ ونفاقاً فقالت طوائف من الناس: آمين! آمين! .  
ثم يقول أبو الفرج: وأنا أقول آمين<sup>(١)</sup>.

فعدم ذكر عليٍّ بالسوء - كما في المعاهدة - أول الشرط نقضاً.  
وبعضهم يقول - كما في المصادر - أخذ أهل الكوفة يشتمون معاوية، بل البعض همّ بقتل معاوية.

فلو لم تكن هناك أرتال عسكرية متشابكة مع أرتال أهل الشام كيف يستطيع أهل الكوفة أن يهيموا بقتل معاوية، حتى كادت الفتنة أن تقع كما تقول بعض المصادر.

وهذا يدل على أن سلاح معسكر الإمام الحسن عليه السلام وشبكته الأمنية والقواعد الجماهيرية الموجودة لديه لا زال الإمام عليه السلام يحتفظ بها، بحيث يستطيع أن يعاود المنازلة الميدانية العسكرية والأمنية مع معاوية.



### الشاهد السابع:

بعد كل هذه الأحداث التي جرت سابقاً وبعد أن كادت الفتنة أن تقع، أيضاً هدد الإمام الحسن ﷺ بنقض الهدنة، وذلك بعد أن نقض الهدنة معاوية جاء المسيب بن نجية وهو رئيس قبيلة فزارة إلى الإمام ﷺ وقال له ها هو معاوية قد نقض العهد. - وقد مرت الإشارة إلى ذلك سابقاً -، فلو دققنا في كلام المسيب الفزاري فهو يقول (قد نقض العهد)، فإذن هي ليست بيعة من مبايع لمبايع آخر، أو لأمير أو رئيس أو خليفة، بل هو تعاقد متوازي ومتقابل بين طرفين.

### الشاهد الثامن:

إن خطبه ﷺ كانت صريحة وليس فيها أي مواراة أو مDAHنة، بل كشفت الحقائق الغائبة على المسلمين، وهذا ما بيناه سابقاً تحت عنوان (حجاج الإمام الحسن ﷺ). ولا حاجة لبسطها مرة أخرى.

## الشاهد التاسع:

اعتراف معاوية نفسه من قوى الإمام الحسن عليه السلام ، حيث قال : والله ما نزل الحسن حتى أظلمت علي الأرض وهممت أن أبطش به ، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية<sup>(١)</sup>.

ويقصد بالعافية هنا استتباب الأمن ، وإلا يخرج الأمر عن معاوية.

وقد روي أن معاوية قال لعبدالله بن الزبير ، وهو عنده بالمدينة في أناس : يا بن الزبير ألا تعذرني في حسن بن علي ما رأيته مذ قدمت المدينة إلا مرة ، قال : دع عنك الحسن فأنت والله كما قال الشماخ :

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى صدورهم تغلي عليّ مراضها

والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف لضربك ، والله لأهل العراق أرام له من أم الحوار لحوارها . فقال معاوية : أردت أن تغريني به ، والله لأصلن رحمه ولأقبلن عليه<sup>(٢)</sup> . وهذا النص يعطينا صورة أن الهدنة أشبه ما تكون بالفيدرالية منه بالمعنى الخاطيء للبيعة للخليفة الواحد.

(١) الأمالي للطوسي : ٨٢٤.

(٢) الأغاني ج ٨ : ١٠٤.

## الشاهد العاشر:

مدح الإمام الحسن ﷺ لأبيه أمير المؤمنين ﷺ وبمحضر ومسمع من معاوية الذي كان لا يستطيع أن يسمع باسم (علي)، وقد كان قد سَنَّ لعن وسب أمير المؤمنين ﷺ على المنابر لثمانين سنة، فكيف به وهو يسمع مدح علي ﷺ بحضوره وحضور جلاوزته ومن على منبر الكوفة أو المدينة وبحضور آلاف المسلمين. ألم تكن هذه ورقة ضغط استخدمها الإمام الحسن ﷺ تجاه معاوية.

## الشاهد الحادي عشر:

لما خرجت الخوارج على معاوية استنجد معاوية بالإمام الحسن ﷺ كي يقاتل معه، وهذا يعني أن القدرة العسكرية للإمام الحسن ﷺ لا زالت موجودة.

فقد روي:

وخرج من الخوارج على معاوية بعد قتل علي ﷺ، حوثة الاسدي، وحابس الطائي، خرجا في جمعهما، فصارا إلى مواضع أصحاب النخيلة، ومعاوية يؤمئذ بالكوفة قد دخلها في عام الجماعة. [وفي كامل التاريخ (بعد أن بايعه الحسن)]، وقد نزل الحسن بن علي، وخرج يريد المدينة، فوجه إليه معاوية - وقد تجاوز في طريقه - يسأله أن يكون المتولي لمحاربة الخوارج، فكان جواب الحسن:

والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذاك يسعني،  
أفأقاتل عنك قوماً أنت أولى بالقتال منهم؟<sup>(١)</sup>.

## الشاهد الثاني عشر:

جاء معاوية إلى المدينة المنورة وخطب في مسجد النبي ﷺ الذي  
يعتبر مركز الخلافة الإسلامية، فقال معاوية للحسن بن علي عليه السلام : أنا  
خير منك يا حسن، قال: وكيف ذلك يا بن هند؟ قال: لأن الناس قد  
أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك. قال: هيهات هيهات لشر ما علوت،  
يا بن أكلة الأكباد، المجمعون عليك رجлан: بين مطيع ومكره، فالطائع  
لك عاصي الله، والمكره معذور بكتاب الله وحاش الله أن أقول: أنا خير  
منك فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل<sup>(٢)</sup>.  
وهذه الحادثة كما بينا أنها حدثت في المدينة المنورة، وهذا يعني أن  
القدرة العسكرية لسيد شباب أهل الجنة، لا زالت موجودة إلى أواخر  
حياته.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥ : ٩٨ ؛ الكامل للمبرد ج ٣ : ١٣٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ : ١٨٦ ؛ بحار الأنوار ج ٤٤ : ١٠٤ .

### الشاهد الثالث عشر:

وهو أن معاوية لم يجرؤ على أي أحد من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ أن يفتك به في ظل حياة الإمام الحسن ﷺ، فمثلاً قتله لحجر بن عدي سنة إحدى وخمسين ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي. فإن هؤلاء وغيرهم قد اغتالهم معاوية بعد استشهاد الإمام الحسن ﷺ.

### الشاهد الرابع عشر:

قال ابن أبي الحديد: قال أبو الحسن المدائني: طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن ممن كان في كتاب الأمان، فكتب إليه الحسن: من الحسن بن علي إلى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا وقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له فأحب أن لا تتعرض له إلا بخير والسلام.

فلما أتاه الكتاب وذلك بعد أن ادعاه معاوية، غضب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان فكتب إليه:

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن أما بعد فإنه أتاني كتابك في فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك، وإيم الله لأطلبه بين جلدك ولحمك وإن أحب الناس إلي لحمي أنا أكله للحم وأنت منه، والسلام.

فلما قرأ الحسن الكتاب بعث به إلى معاوية، فلما قرأه غضب

وكتب:

من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد أما بعد فإن لك رأيين : رأي من أبي سفيان ورأي من سمية فأما رأيك من أبي سفيان فحلّم وحزم، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها؟ إن الحسن بن علي كتب إلي أنك عرضت لصاحبه، فلا تعرض له فإني لم أجعل لك عليه سيلاً<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل على أن قوة الضغط والموازنة لم تزل باقية.

### الشاهد الخامس عشر:

لما بايع الحسن عليه السلام معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صرد الخزاعي:

(... فإذا شئت فأعد الحرب خدعة، واثذن لي في تقدمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه، وتنبذ إليه على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، وتكلم الباكون بمثل كلام سليمان.

فقال الحسن عليه السلام : أنتم شيعتنا وأهل مودتنا فلو كنت بالحزم على أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذه الرواية يتضح أن القاعدة الشعبية والعسكرية والأمنية

(١) البحار ج ٤٤ : ٩٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ : ١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ : ٢٩.

للإمام الحسن عليه السلام كانت تستطيع أن تعيد العراق بين ليلة وضحاها، وهذا يعني أن العراق لم يخرج عن قبضة الإمام الحسن عليه السلام.

هذه شواهد كلها مفعمة على أن الإمام الحسن عليه السلام لم يفقد أي ورقة ضغط على معاوية، بل بقي هو القائد الشجاع لشيعة أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. بل في الحقيقة كان فتحاً مبنياً لبقاء التشيع والشيعة ككيان رئيسي في جسم الأمة الإسلامية يتنامى بهوية إيمانية متميزة عن الإبهام في الخليط الإسلامي، وهذه خطوة بناء فاتحة للأمة المؤمنة في مسار الأمة نظير صلح الحديبية لجده المصطفى صلى الله عليه وآله الذي سبب يأس الكفار إلى الأبد عن استئصال المسلمين وكذلك كان صلح هدنة الحسن عليه السلام سبب يأس أعداء أهل البيت عليهم السلام من بني أمية ومن شاكلهم من النواصب إلى الأبد عن استئصال كيان المؤمنين والإيمان فكان بحق فتحاً مبنياً للإيمان بينما صلح الحديبية كان فتحاً مبنياً للإسلام.

فسلام على الحسن يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

والحمد لله رب العالمين







## الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة .....	٧
الفصل الأول: تعظيم أهل البيت <small>عليهم السلام</small> وفلسفته .....	٩
تعظيم أهل البيت <small>عليهم السلام</small> .....	١١
تعظيم أولياء الله .....	١٢
فلسفة تعظيم أولياء الله .....	٢٤
الفصل الثاني: حقيقة أبعاد هدنته <small>عليه السلام</small> .....	٢٧
الحسن شبيه جدّه وأبيه .....	٢٩
سؤدد وشجاعة الحسين <small>عليه السلام</small> .....	٣١
غياب الحقائق التاريخية .....	٣٢
قوة تدبير أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> .....	٣٤
حقائق أخرى .....	٣٦
الحوار والحقيقة الضائعة .....	٤٠
بيعة الإمام الحسن <small>عليه السلام</small> .....	٤٣

- بيعة يزيد الفجور والفسق ..... ٤٧
- الفرق بين البيعتين ..... ٤٩
- خلافة الأول والثاني ..... ٥١
- بيعة الإمام علي المرتضى عليه السلام ..... ٥٣
- بيعة الإمام الحسين عليه السلام ..... ٥٤
- الإمام علي الرضا عليه السلام وولاية العهد ..... ٥٧
- آل الأنبياء ..... ٥٩
- احتجاج الإمام الحسن عليه السلام ..... ٦١
- حقائق سيرة الإمام الحسن عليه السلام ..... ٦٥
- صلح أم هدنة ..... ٦٦
- الشاهد الأول: سيطرة الإمام الحسن عليه السلام على زمام الأمور ..... ٦٨
- الشاهد الثاني: معاوية وقتل عمرو بن العاص ..... ٦٩
- بنود المعاهدة ..... ٧١
- الإمام الحسين عليه السلام لم يبايع معاوية ..... ٧٣
- معاوية ينقض الهدنة ..... ٧٤
- السلم وإيقاف الحرب ..... ٧٨
- الشاهد الثالث ..... ٨٠
- الشاهد الرابع ..... ٨١
- الشاهد الخامس ..... ٨٢
- الشاهد السادس ..... ٨٣

٨٥	.....	الشاهد السابع
٨٥	.....	الشاهد الثامن
٨٦	.....	الشاهد التاسع
٨٧	.....	الشاهد العاشر
٨٧	.....	الشاهد الحادي عشر
٨٨	.....	الشاهد الثاني عشر
٨٩	.....	الشاهد الثالث عشر
٨٩	.....	الشاهد الرابع عشر
٩٠	.....	الشاهد الخامس عشر
٩٣	.....	الفهرس

